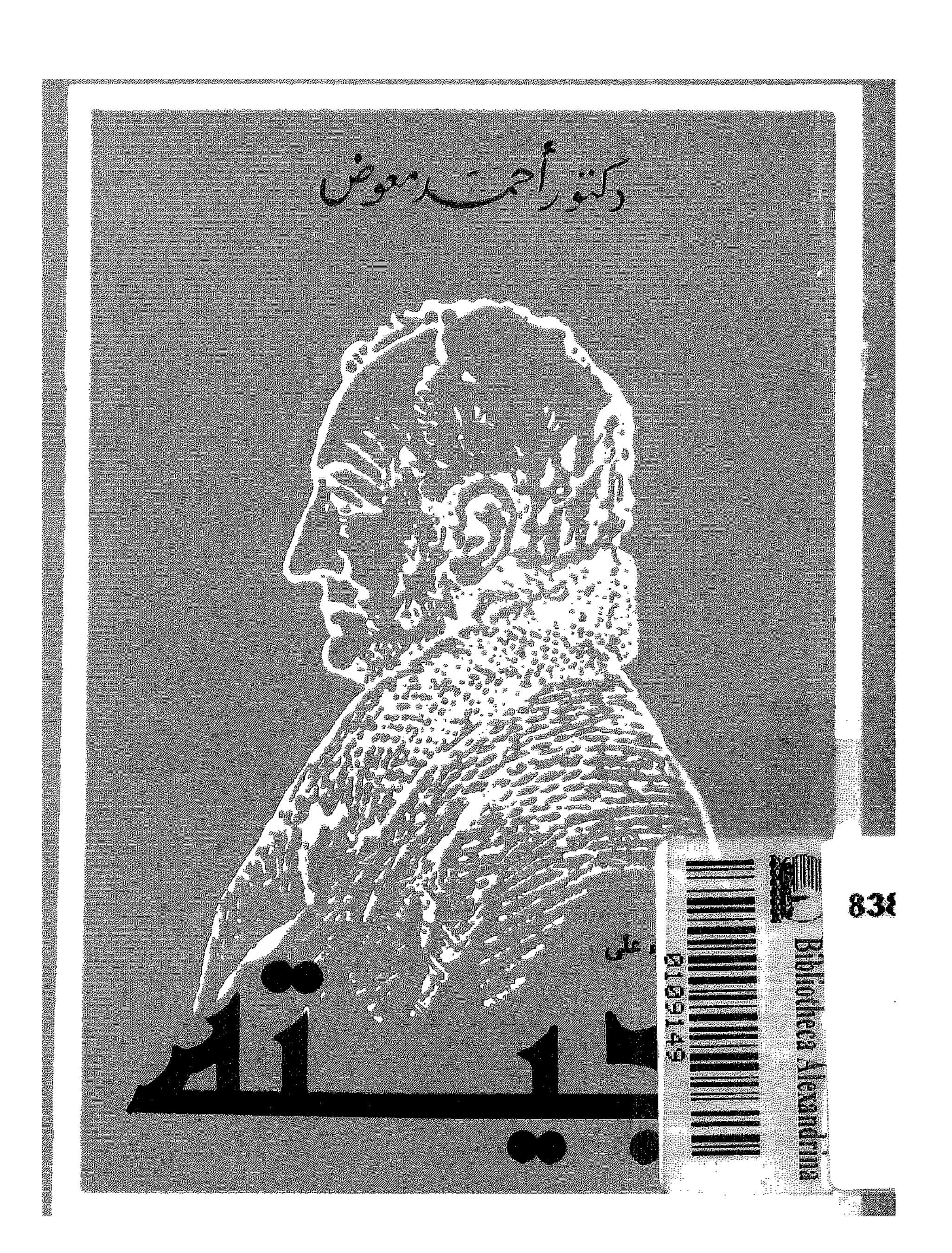

دكتور أحمد معوض


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أضواء على حبيبة



دكتور احمد معوض

أضواء على حبشة

الدار العربية
للنشر الثقافة العالمية

الطبعــة الثالثة

القــاهرة ــ ديسمبر ١٩٨٢

هذا الكاتب

* الاستاذ الدكتور أحمد معوض عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر وخبير الاعلام والعلاقات العامة .

* استهل حياته العملية والعالم يشهد ضياع الأرض المقدسة من أيدى العرب ، فقام بجولات واسعة فى أوروبا وآسيا وأفريقيا للتعريف بالعالم العربى والاسلامى وقضاياه .

* أكمل دراساته العليا فى فرنسا والنمسا وألمانيا ومصر حيث حصل على دكتوراه الفلسفة ودكتوراه الآداب .

* نشرت له الصحافة العربية والأجنبية مجموعة ضخمة من كتاباته وجولاته ، وأخرجت له المطابع كثيرا من الكتب والدراسات والأعمال التى وضعها باللغات العربية والألمانية والانجليزية والفرنسية والفارسية .

* جعل كل كتاباته فى الفترة التى قضاها فى أوروبا مقتصرة على شرح حقيقة الأوضاع فى العالم العربى وبلدان الشرق والدفاع عن قضايانا الحقة ، ونقل صورة صادقة منها للعالم غير الناطق بالضاد .. وواصل هذه الرسالة بعد عودته الى الوطن .

* ارتأى أن العالم العربى فى نهضته الجديدة صار فى أمس الحاجة الى الاطلاع على روائع الفكر العالمى وسبل النهضة الحديثة فى الدول المتقدمة ، فعمل على أن ينقل صورا منها الى العالم العربى .

* تخرج عليه الآلاف من الطلبة فى جامعات الأزهر وعين شمس وطنطا والمنصورة ، وشارك فى الاشراف على أعمال الباحثين العلمية ومناقشتها .

من

كتب الدكتور أحمد معوض

عن المشاكل العالمية

باللغة العربية :

لعب بالنار دراسة لمشكلة برلين ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦١ .

صراع حول ألمانيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ .

مشاكل العالم العربي (كتاب مسابقة جامعة الدول العربية) ، ١٩٥٣ .

صرخة الى السماء (عن القضية الفلسطينية) الطبعة الثالثة ، ١٩٥٥ .

لن نكون لاجئين ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩ .

باللغة الألمانية :

Krieg oder Frieden im heiligen Land

حرب أم سلام فى الأرض المقدسة ، ١٩٥٦ .

Frieden im Orient

السلام فى الشرق ، ١٩٥٦ .

Sicher ist unsere Heimkehr

عائدون ، ١٩٥٦ .

باللغة الانجليزية :

Duel in the Holy Land

صراع فى الأرض المقدسة ، ١٩٦٠ .

عن الشرق المعاصر

لبنان ، ١٩٥١ .

ايران المعاصرة ، ١٩٧٥ .

باكستان المعاصرة — دراسة للأوضاع الاجتماعية الاقتصادية في جمهورية باكستان الاسلامية ، ١٩٧٦ .

فى الفلسفة والتصوف

شوبنهاور ، الطبعة الثالثة ، مايو ١٩٦٥ .

شاعر الصوفية فريد الدين العطار وقصتاه شيخ صنعان ورابعه وبكتاش ، ١٩٧٦ .

العلامة محمد اقبال — حياته وآثاره ، ١٩٨٠ .

فى اللغة والأدب

بهاء الدين محمد البغدادى ، حياته وآثاره الأدبية ، ١٩٦٠ .

ظهير الدين الفاريابى — حياته وآثاره الأدبية ، ١٩٦٧ .

بحر بلا شاطىء (الطبعة الأولى) ، ١٩٧٣ .

تاريخ تطور النثر الفارسى (سبك شناسى) جـ ٢ ، ١٩٨ .

أضواء على الفارسية المعاصرة ، ١٩٨١ .

تجل .. ملاحظ المزلقان (فى ثلاث لغات : العربية ، فارسية والأصل الألمانى) ، (الطبعة الثالثة) ١٩٨٢ .

الوان من الشعر الفارسى ، ١٩٨٣ .

فى الحضارة والنظم الاسلامية

دادرسى در عهد سلجوقيان وخوارز مشاهيان (القضاء فى عهد السلاجقة وملوك خوارزم) ، ١٩٧٦ .

الشرق الاسلامى فى عصر السلاجقة العظام ، ١٩٨٣ .

هـذه الطبعة الجديدة

انقضت في هذا العام مائة وخمسون سنة على وفاة الأديب والمفكر العالمي المرموق .. يوهان فولفجانج جيته . ففي الثاني والعشرين من شهر مارس لسنة ١٨٣٢ م ، وقبيل الظهيرة ، ودع الدنيا شاعر الألمانية الأكبر عن ثمان وسبعين سنة .

وفي أوائل الستينيات ألقينا بعض الأضواء على حياة « جيته » وآثاره ، وقوبل الكتاب من القراء خير استقبال ، ونفدت الطبعة الأولى منه على الفور ، وتلتها الطبعة الثانية في نفس العام ، ولم يكن نصيبها من الانتشار بأقل مما كان للطبعة الاولى – على الرغم من ضخامة الكمية المطبوعة . واليوم نقدم هذه الطبعة ، لأبناء الجيل الجديد من الراغبين في التعرف على هذا الأديب العالمي الفذ ، آملين أن يجدوا فيها ما يسكن نهمهم الى المعرفة .

القاهرة – الزمالك في ديسمبر ١٩٨٢

أ . م

هذا الكتاب

فى هذه الصفحات التالية ، ننقل لقراء العربية قصة رجل انتهت حياته الجسدية قبل قرن وربع . . بل يزيد ، ولكن أعماله أضفت عليه الخلود ، وكفلت لاسمه البقاء الى الابد !

لقد ولد جيته فى ظهر اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٧٤٩ ، وتوفى قبيل انتصاف نهار اليوم الثانى والعشرين من مارس ١٨٣٢ . وبذلك عاش فى هذه الدنيا اثنين وثمانين سنة ، وثمانية اشهر ، وخمسة وعشرين يوما الا بضع دقائق !

ولا يعجبن امرؤ اذا ما كنا نحسب عمره بالدقائق ، فهذا القياس لا نظفر به الا للعظماء وحدهم ! فعلى الرغم من أن ملايين الملايين من البشر يجيئون ويذهبون ، الا أن القليل النادر منهم فحسب هو الذى يثير منا الاهتمام ، وهو الذى يجبرنا على أن نلتفت اليه ونتغلغل الى صميم حياته الخاصة ونجوس فيما قام به من أعمال ، وما وقع فى حياته من احداث .

ذلكم الرجل المرموق هو الذى يأتينا بعمل من الاعمال غير العادية ، كأن يكون زعيما من الزعماء الكبار ، أو بطلا من الابطال الافذاذ ، أو قائدا سار ببلاده الى أوج الفخار ، أو كاتبا من كبار الكتاب أو شاعرا من اعلام الشعراء ، أو عالما من عظام العلماء . . الى غير هؤلاء من قادة الفكر والشعوب !

وفى هذه الصفحات نلقى بعض الاضواء على احد هؤلاء المرموقين : على حياته واهم أعماله ، راجين أن نوفق فى وقت قريب الى أن نعرض بشىء من التفصيل أعمال هذا الرجل العظيم مع تحليل ونقد لكل منها .

فالى أن نلتقى مع أعمال جيته ، والله ولى التوفيق .

القاهرة فى ديسمبر ١٩٦١



الحقبة الأولى

١٧٤٩ - ١٧٧٥



نحو وجود افضل

مهما اشتد القسر والظلم ، وراح القوى يذل المستضعف فان للفجر ساعة يبزغ معها النهار وينتشر النور ويعم الضياء!

لقد عاش الشعب الالمانى يئن طويلا من الظلم الذى طال مداه ، والشدة التى تزايد ثقلها ، والضغط الذى يرزح تحته منذ الحرب الواسعة .. حتى اذا ما أقبل القرن الثامن عشر ، هب الشعب المضغوط ونفض عنــــه كل آثار الذل والقسر والايام السود التى مر بها ، وراح يكافح ويناضـــــل حتى استطاع ان يكون لذاته وجودا .. وجودا افضل .

فمنذ كانت الحرب الكبرى الواسعة ، تقلصت الشخصية الالمانية الدولية ، وتدهور الكيان الالمانى الســـياسى ، وبدت الاهمية السياسية هزيلة شاحبة ، كأنها تطل من وراءالسحب حتى لتكاد تختفى وتتوارى تماما . وانعكست هذه الصور السياسية على نفوس ابناء البلاد ، فانعدمت الثقة فيما بينهم وتغلغل الانشقاق وانعدم النظام ، وسادت الفوضى ؛ ولم يعد الاحساس بالسيادة الا من قبيل الذكريات !!

صحيح انك كنت ترى حـــــدودا مرسومة فى الخرط الجغرافية تشير الى المانيا ، ولكن الحقيقة سرعان ما تتضح فى الانقسامات القبلية ، وعوامل الانطواء والتفكك فى البلاد ، حتى خيل لليسينج Lessing ذاته أن الالمان ليسوا بأمة !!

وكان لابد من العمل على تعليم الالمان وتلقيهم اسس الوحدة القوميه والبسير بهم فى طريق الوحدة . وقام الادب بالدور الاول فى هذا الاعداد القومى ، وراح رجال الطليعة من الادباء يعملون ويعملون ، حتى برز فى البلاد ثلة من رجال السياسة الواعين ، فكانت الوحدة القومية الالمانية .

وما من شخص يذكر الوحدة الالمانية ، الا ويذكر ذلك الرجل الذى يرجع اليه الفضل الاول فى توحيد المانيا توحيدا روحيا .. ذلكم هو الشاعر ، بل اكبر شعراء المانيا بحق .. يوحان فولفجانج جيته Johann Wolfgang Goethe

صيحة الوليد

فى اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنه ١٧٤٩م. بمدينة فرانكفورت الماين ، كانت عقارب الساعة تلتقى ، رافعة رؤوسها الى السماء التى كانت ملأى بالضياء والنور . وفى كبدها تتربع الشمس .. عندما صاح الوليد يعلن مقدمه ، فاختلطت صيحاته بدقات الساعة الاثنى عشرة ! وكان الوليد أول طفل يرزق به Dr. Johann Kaspar Goethe الدكتور يوحان كازبار جيتهمن زوجه كاترينا اليزابيت تكستور Katharina Elisabeth Textor واتفقا على تسميته يوحان فولفجانج .

بين الشدة والحنان

كان الاب فى التاسعة والثلاثين من عمره عند مولد ابنه البكر . وكان رجلا شديدا جادا صارما ، معتادا على النظام الفولاذى الذى لا يعرف للاعتبارات الشخصية سبيلا فى تأديته لواجب . اما الام فكانت تنحدر من اسرة نبيلة ، وكانت طباعها على خلاف الاب تماما ، اذ تميزت بطيبة قلبها ورقة

احساسها ، ومرحها الدائم وشدة ذكائها وقدرتها على تفهم الامور وتممنها ؛ تدع لنفسها ولغيرها حرية العمل والتصرف في غير ما ضجة ولا ثرثرة ، فهى تكره الثرثرة ونقل الكلام ، وتسير دوما فى طريقها الذى رسمته لنفسها ، معتزه بذاتها حتى ليداخلها الكبر والتعالى الى حد ما ! وقد تمتعت بروح معنوية عالية ، فلم تكن تفقد الامل قط عندما تحيط بها أيام الشقاء ، بل تجد فيها دعامة قوية لمسلكها فى الحياة بفضل ايمانها الفياض ـ الذى لا يتزعزع بحال ـ بالله !

أعطت كاترينا يدها لجيته الاب وهى فى مقتبل العمر ، حيث تزوجته فى السابعة عشرة والنصف من عمرها . وربما لم تكن قد أحبت جيته الاب عندما تزوجته ، وربما لم تكن تعرف عن طباعه الشديدة شيئا ، بل ربما حاولت أن تخفف من حدة هذه الطباع . . ولكنها ـ على اية حال ـ استطاعت أن تخفف من وقعها على ابنهما . وكان لذلك اكبر الاثر على شاعر المانيا الاعظم ، فأعلنها صريحة فى قطعة من شعره ، ذكر فيها الملامح الرئيسية الهامة التى انتقلت اليه من أبويه وحلت فى شخصه ، فقال :

"Vom Vater hab' ich die Statur,
Des Lebens ernstes Führen,
Vom Mütterchen die Frohnatur
Und Lust zu fabulieren."

أى :

« عن الاب عندى القوام ،
وتسيير الحياة فى جد ،
ومن الاميمة الطبع المرح ،
والنزوع الى الخيال . »

وفى الواقع ، أن الاثر الذى تركته الام فى ابنها جيته واضح جلى . واذا كانت الآراء تتفق على أن كثيرا من الرجال العظام

انما تكون لهم امهات ممتازات . وذلك ما ينطبق على جيته كل الانطباق . وقد بقى جيته طوال حياته يذكر هذا الاثر الكبير الذى طبعته امه عليه وعلى « كيانه » . هذا فضلا عن حبها الشديد « لهانز المحبوب المدلل » ، ذلك الحب الذى استمر على ما هو عليه دون فتور أو نقصان حتى وفاتها .

واذا رجعنا الى أيام طفولة الشاعر ، نجد أمه كاترينا تجلس اليه بنفسها ، تغذى خيال ابنها بقصصها الشيقة ، وتشجعه وتبث فيه من روحها المرحة اللطيفة ، حتى أحالت بيتهم المغلق عليهم فى هير شجرابن Hirschgraben الى عالم صغير جميل.

وبينما كان الاب يأخذ ابنه بالنظام الصارم ، ويحاول أن يلقنه فيضا من المعرفة ، كانت الام تتبع معه طريقة اخرى فى التعليم .. طريقة اللعب ! وكان ان انمرت التجربة ، وتغلبت الام على قلب طفلها الذكى ، وتوغلت بطباعها الى داخل نفسه . وظهر أثر ذلك كله واضحا فى سنى شبابه الطويلة ، بينما لم يبد عنده أثر لتربية ابيه الا فى أيام الشيخوخة فحسب !

ولا يفوتنا - ونحن فى معرض الحديث عن عائلة جيته واثرها فى تنشئة الشاعر - أن نذكر أخته كورنيليا Cornelia التى كان أخوها يحبها حبا جما . ولا عجب فى ذلك ، فهى الوحيدة التى تركها له القدر من اخوته وأخواته العديدين !

وهناك ايضا ، الجدة التى كان لها أثر طيب فى الشاعر ، اذ كثيرا ما بقى معها ، وسكن اليها ، وأحبها حبا خالصا .

وكان للجدة الفضل فى توجيه جيته الى المسرح اذ قدمت الى حفيدها « هانز » قبيل وفاتها معرضا للعرائس ، من ذلك النوع الذى يسلى به الاولاد انفسهم فى أوقات فراغهم .

وكان الاطفـال يترقبون الساعات التى يقضونها فى بيت آل تكستور اذ كانت عائلة أمهم تتيح لهم حرية الحركة واللعب بشكل لا يجدونه فى بيتهم ، حيث كان الاب يغلق باب البيت طول اليوم بسلسلة حـديدية ، ونادرا ما كان يسمح لهم بالاختلاط بالاطفال الآخرين أو تكوين ثلة من أصدقاء اللعب !

وأثر ذلك الحرمان فى الشاعر اذ أدى به الى تعويض ما امتنع عليه وحرم منه بالنظر والتمعن فى الطبيعة الخلابة التى كان يطالعها من النافذة ، وراح يسرح ببصره عبر الحـدائق والحقول الى نهر التاونوس Taunus ، منحدرا بناظريه فى شمال غربى المدينة الى نهر الراين Rhein .

ومن النافذة ، كان فولفجانج الصغير يرى العاصفة المرعدة وينتظر نهايتها !

ومن النافذة ، كان يتتبع الشمس وهى فى موكبها ، حتى يختفى قرصها المشع وراء السحب أو عند الغروب !

وهكذا صارت عيناه الحادتان تنقل مناظر الطبيعـة ليحتفظ بها فى خياله الخصب ، وكان له فى ذلك خير بديل عن صداقة الاطفال واللعب معهم !

فرانكفورت على زمن جيته

شهدت فرانكفورت Frankfurt مولد جيته الشاعر كما شهدت صباه . ولكن فرانكفورت هـذه تختلف عن فرانكفورت اليوم !

كانت فرانكفورت فى ذلك الوقت مبنية على الطريقـة

القديمة ، شوارعها ضيقة ومتعرجة ، تحيط بها الاسوار .
ويسكنها حوالى أربعين ألف مواطن فحسب ! ولكن الحياة
كانت تدب فى المدينة وتجعلها شعلة من النشاط والحركة فى
أثناء اقامة معرض المدينة الكبير أو فى ايام الاحتفالات والاعياد
التى كانت تقام عند انتخاب الاباطرة الالمان وتتويجهم . وقد
وصف لنا جيته فى « الشعر Dichtung und Wahrheit
والحقيقة » الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة تتويج يوسف
الثانى Josef II وذلك كما رآها بنفسه ، فنقل الينا منها
كثرة من الالوان الساحرة الجميلة !

وقد رأى يوحان فولفجانج جيته العالم مجتمعا فى هذا
المكان ، كما شاهد أزياء جنوب المانيا ، وفيها من المرح والالوان
ما فيها .

وفى فرانكفورت اجتمعت كل أنواع السلع التجارية لوسط
المانيا ، وفيها من شخصية المانيا العليا وميزاتها ما يفوق بكثير
ما فيها من المانيا الدنيا . كذلك قابلته فى هذه المدينة مجموعات
من الاحساسات النابضة والآراء المختلفة ، التى استطاعت
عقليته الفذة أن تعمل بها وبوحى منها . والى جانب هذه
الثروة الفكرية ، كان عليه أن ينمى معارفه بكل انواع الثقافة
التى تهيئه — كما يريد أبوه — لوظيفة عالية فى مجتمع المدينة ،
ولا يكون ذلك الا بالدرس والتحصيل . ومن ثم اجتمعت لديه
مجموعة طيبة من المعلومات والمعارف .

حركة بعد السكون

وفى أثناء حرب السنين السبع ، وبعد احتلال الفرنسيين
لمدينة فرانكفورت فى اليوم الثانى من يناير سنة ١٧٥٩ م ، جاء
الى بيت جيته مرافق الملك الكونت توراناك Graf Thornac

الذى كان يقيم فى موانز Mouans منذ سنة ١٧١٩ . وكان هذا الرجل ذا ثقافة عالية ، يهتم بالفن اهتماما كبيرا ، فراح يدعو أشهر الرسامين اليه ، واعد لهم مرسما خاصا ، وطلب اليهم تنفيذ بعض الصور لقصر أخيه .

وهكذا دبت الحياة فى البيت الهادىء ، فضلا عن أن هذه الحياة الجديدة أتاحت لفولفجانج الصغير أن يكون على صلة بأهل الفن . فلما أنشأ الاجانب المسرح الفرنسى بالمدينة ، اتصل جيته به ، فأعطاه ذلك مجموعة من الافكار الجميلة التى ادخرها للمستقبل .

أشعار الصبى

وفى مقتبل العمر ، كتب ــ بموافقة ابيه ــ مجموعة من الاشعار والثنائيات والوحدات ، وجمعها فى مجلد كامل الا انه اعدمه فيما بعد عندما كان فى ليبتسيج . ولم يبق لنا من هذا المجلد الا القليل ، ومن ذلك رسالتى تهنئة بعيد الميلاد بعث بهما فى سنة ١٧٥٧ الى آل تكستور من أجداده ، وهاتين الرسالتين ليستا بذات قيمة فى حد ذاتهما . ومن بقايا هذه الاعمال المبكرة قطعة روحية قد تكون أكثر دلالة وأعظم قيمة ، فقد وضعها بناء على طلب الآنسة Fräulein von Klettenberg فون كليتنبرج وهى صديقة متدينة من أصدقاء أمه . وطبعت هذه القصيدة دون علمه فى جريدة المرئيات Die Sichtbaren فى سنة ١٧٦٦ تحت اسم « أفكار شاعرية عن رحلة المسيح Poetische Gedanken über die Höllenfahrt Jesu Christi عيسى الى جهنم » .

ولا يمكن الوصول الى أية نسخة اخرى من ذلك العدد الهم الا ذلك الموجود حاليا ضمن محفوظات جيته وشيلر

فى فايمار ، فهى النسخة الوحيدة الباقية من عدد جـــريدة المرئيات المنشور فيه قصيدة جيته هذه التى تحدث فيهـــا بتعبيرات روحية عن العدالة « الشنيعة » لتغلب المسيح على الشرور فى جهنم ، والتى تجعلنا ندرك حقيقة موهبة جيتـــه الشعرية وهو لم يزل فى أول حياته .

سوء استغلال

واذا كان البعض يرى أن وحدة جيته وعزلته فى بيت أبيه فى هيرشجرابن . . اذا كان يرى فى ذلك فائدة كبيرة عادت على الشاعر ، وعلى التركيز الروحى عنده فى أيام الصغر ، الا أنها عادت أيضا بآثار سيئة عليه اذ حرمته من الخـــبرة الكافية بمعاملة الناس ، والعناية اللازمة التى يتطلبها العمل مع الآخرين ، والحذر الواجب فى العلاقات مع الغير . وهكذا خرج جيته الى الحياة ، فصادف أول ما صادف مجتمعا يضم ثلة من الشبان الذين أساءوا اســـــتغلال مواهبه الشعرية للوصول الى غرضهم والحصول على المال .

وانكشف هذا الامر ، وأدى الى تحقيق دقيـــق ، أثبت براءته ، ولكنه تسبب فى اثارة كثير من المتاعب الخطيرة فى بيت أبيه .

وقد آلمته هذه التجربة المـــريرة كل الايلام ، اذ تبين له أيضا أن ذلك التحقيق شمل ماجى Maggy التى كان يوليها حبه وعطفه والتى كان يسير متأبطا ذراعها فى أثناء احتفالات التتويج فى وسط المدينة . وكانت الفتاة المحبوبة « مرجـــريت فاجنر Margaret Wagner من أوفنبـــاخ Offenbach » بريئة ولكنها اختفت الى الابد من فرانكفورت ومن أمام عينى جيته . واذا كان قد جعـــل منها أثرا خالدا فى « فاوست »

دائما يرجع ذلك الى انه كان قد ظهر له وهو الى جانبها « عالم جديد من الجمال والاعجاب » .

وأمر جيته الاب بأن يرافق ابنه منذ تلك اللحظة مرافق خاص يصحبه فى كل خطوة يخطوها وفى كل جولة يقوم بها — وكان هذا المرافق هو الذى جسمه لنا فى « فاوست » فى شخصية فاجنر !

باريس الصغيرة

وفى خريف سنة ١٧٦٥ ، تمت الاجراءات التى قام بها جيته الاب ليلحق ابنه فى الجامعة ، ونزل الابن عند ارادة أبيه القوية وذهب الى ليبتسيج حيث اعتزم دراسة القانون . وعلى الرغم من انه كان صغيرا جدا ، الا انه إستطاع ان يعتاد بسهولة عيشة الوحدة اذ كان مثقفا ثقافة كافية لان تجعله يعتمد على نفسه ، فلا يحتاج الى توجيه ، بل كان عليه أن يشق طريقه ويمر بالتجارب القاسية التى تنتظره بعيدا عن منزل العائلة .

وألفى جيته لايبتسيج — او باريس الصغيرة — مدينة تختلف تماما عن كل ما رأته عيناه من مدن قبلها ، ووجد نفسه فى ظروف جديدة عليه كل الجدة ، وان كان قد بدا له كل شىء فى لايبتسيج — فى بداية الامر — وكأنه تكملة جميلة لايام فرانكفورت البديعة !

كانت لايبتسيج تعج بالناس القادمين لزيارة معرض الخريف الضخم . وكان بين هؤلاء الوافدين كثرة من التجار والاجانب ، ومنهم وفرة من أهالى فرانكفورت ذاتها .

ولكن معرض لايبتسيج سرعان ما انتهى ، وبنفس السرعة تغيرت الامور واتجهت وجهة أخرى !

صحيح أن لايبتسيج مدينة حديثة ـ بالنسبة لفرانكفورت ـ تحيط بها الحدائق الغناء والبساتين الواسعة ، وصحيح أن لايبتسيج كانت مركز الادب والثقافة ، وفيها جامعة المانيا الكبرى ، وصحيح أن أهل لايبتسيج أكثر اناقة وميلا للاسلوب الفرنسي في الحياة ! وصحيح أن اللهجة المتكلمة في لايبتسيج تشبه الى حد كبير اللغة الالمانية التي يتحدث بها أهل دريزدن Dresden والتي لها شهرتها في جميع انحاء المانيا ..

صحيح كل هذا ، ولكن جيته كان ينظر الى فرانكفورت نظرة أخرى ، ففيها ولد، وعلى أرضها أمضى طفولته وصباه وكانت نشأته ! وفيها اختلط بالناس لاول مرة ، فألفى أهلها يتحدثون لهجة شعبية ، تفيض بالامثال والاقوال والحكم ومقتطفات الكتاب المقدس . ومن ثم كان جيته في كل تصرفاته وعاداته وأسلوبه شعبيا خالصا ، مما دعا السيدة بيمه Madame Böhme تنتقده في ذلك ، وتلومه على تمسكه بهذه العادات والاساليب في مجتمع لايبتسيج الراقي ، حيث كانت هذه التصرفات تعد سلوكا سيئا ، ومنحى غير جدير بانسان مهذب . وهكذا أدرك جيته انه لا يزال أمامه الكثير ليتعلمه ، ففتح عينيه ، وأنصت الى كل ما كانت السيدة بيمه تلقنه اياه . وخاصة أنها تتحدث اليه بكثير من الود وفيض من الاخلاص حيث كان جيته موصى به عند زوجها الاستاذ بيمه .

بين الحقوق والآداب .. والمجتمع

وفي يوم من الايام جاء جيته الى الاستاذ بيمه ، وأفصح له عن رغبته في دراسة الادب اليوناني اذ كان يفضل هذه الدراسات عن الحقوق ، فما كان من الاستاذ الا أن أنبه على تفكيره ، وأجبره على البقاء في كلية الحقوق . وحاول جيته

أن يبقى بحسه ومشاعره وأذنه وجسمه فى هذه الدراسةالتى اختيرت له ، الا أن المحاضرات كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهه مما أدى به الى أن ينصرف عنها سريعا الى المجتمع المرح !

واختار جيته سكنا له فى Grosse Feuerkugel جروسه فوير كوجل (كرة النار الكبيرة) فى السوق الجديدة رقم ٣ Neumarkt Nr. 3. حيث كان ليسينج يعيش قبل عشرة أعوام وفى هذا البيت اتصل بالطلبة ، ونمى علاقاته معهم .

وأدت مقابلات جيته مع طلبة الطب عندالاستاذ لودفيج Professor Ludwig حيث كان يتناول طعام الغذاء فى أول الامر — الى أن تأثر جيته بجو دراستهم ، وراح يهتم بالطب .

وفى ذلك الوقت أيضا ، اجتمع جيته بجيليرت Gellert الذى نصحه بالتمرن على كتابة النثر بدلا من الشعر ! وهكذا أصبح جيته مضطربا فى كل شيء ، وراح ينشد لنفسه تسلية لاروحية فى مجتمعات لم يحسن اختيارها .

ووجد جيته كثيرامن التنوع فى Auerbachs Keller مطعم أورباخ . وقد استطاع ارنست Ernst Wolf Behrisch فولف بيريش ، مربى كونت ليندناو Graf Lindenau أن يؤثر فى جيته تأثيرا كبيرا . وراح ينتقده وينتقد اشعاره نقدا سلبيا ، ولكنه لم يعرف كيف يوجه الشاعر الناشيء وجهة أفضل . ومما هو جدير بالذكر أن الرجل كان موضع تقدير جيته ، ومن ثم أهدى اليه ثلاث قصائد .

وزار جيته جوتشيد Gottsched برفقة مواطنه — وصهره فيمابعد — ى. ج. شلوسر J. G. Schlosser الذى قدمه الى تاجر الخمور شينكوبف Schönkopf فى بريل Brühl .

ومنـــذ ذلك الوقت وجيته يتناول طعامه لدى شينكوبف ، فضلا عن أنه راح يشارك فى الحياة الاجتماعية لذلك البيت .

أنيته

وتعرف جيته فى هـــذه الفترة بابنة الرجل ، انا كاترينا شينكوبف Anna Katharina Schönkopf . وكانت فتاة على جانب من الثقافة ، تكبر جيته بثلاثة أعوام . وتطورت علاقته بها الى الحب ، الحب العارم . ولكن غيرته الشـــديدة عليها ضايقتها وجعلتها تفر منه ، ففقـــدها الى الابد ، الا أنهـــا ظلت ترافقه فى خياله . وكانت بحق « ملهمتـــه » ـــ كما كان يسميها فى خطاباته الى أخته كورنيليا ـــ اذ منحته كثيرا من الافكار والاحاسيس الدفاقة التى كانت أســـاســـا من أسس كيانه الشعرى .

ويقول بيريش فى احدى كتيباته الانيقة وكان قد أســـماه انيته Anette نسبة الى أنا كاتارينا هذه . . يقول بيريش ان جيته وضع عددا وفيرا من الاشـــعار الغنائية والقصصية بسلوب غزلى (Anakreontisch) ولكنه لم يستطع أن يسترد حب الفتاة النافرة . وجاءت الدراما الصغيرة « مزاج العاشق المتقلب Die Laune des Verliebten » التى وضعها فى قواف على الوزن الاكزندرينى وهى ضرب من شعر الاعتراف بالخطأ الذى ينتهى أيضا باستعمال الاسلوب المرير الذى عـــرف به الشاعر جيليرت :

"Ihr Eifersüchtigen, die ihr ein Mädchen plagt,
Denkt euren Streichen nach, dann habt das Herz und klagt."

أى :

« أيها الغيورون ، الذين يضايقون فتاة :

فكروا فى مقالبكم ، ومن ثم خذوا القنب ونوحوا . »

شركاء الذنب

وبعد ما اكتسبه جيته من خبرات شخصية بالحياة واللهو ، وضع تمثيليته الهزلية «Die Mitschuldigen شركاء الذنب » . ومع أن هذه التمثيلية كانت متكاملة من الناحية الفنية ، الا أنها كانت ضعيفة فى مضمونها .

وتتناول الهزلية ما صادف الشاعر فى حياته فى فرانكفورت ، وكان يهدف فيها الى الاتيان بمواقف تبعث على الضحك — متأثرا فى ذلك بطريقة موليير Molière وليسنج فى كتابة الهزليات . وقد وضع جيته هيكل هذه القصة عندما كان فى لايبتسيج ، وأتم صياغتها فى سنة ١٧٦٩ .

وفى هذه الهزلية زار ألسسته Alceste سرا معشوقته السابقة صوفى Sophie ، وكانت ابنة صاحب البيت الذى ينزل فيه الشاب . وراحت المرأة تشكو اليه زوجها الفاسق زيلر Söller ، فى الوقت الذى كان الزوج يسترق فيه السمع الى هذا الحديث بأكمله . ولم يهتم زيلر بماقالته صوفى بقدر اهتمامه بمال السسته ، وهكذا سرقه من الخزينة ليواصل لهوه .

وتسلل صاحب البيت الى حجرة السسته ليطلع على ما جاء فى خطاب كان قد ورد الى السسته فى ذلك اليوم .

وبنسى الرجل قطعة من الشمع فى الحجرة ، بينما كانت صوفى تتفق مع السستته على موعد يلتقيان فيه ثانية .

وراح كل من الاب والبنت يتهم الواحد منهما الاخر بسرقة السستته ، الا انه سرعان ما ينكشف أمامهما فى الوقت المناسب أن بويلر هو اللص ، وأنه فعل ذلك فى أثناء محادثة السستته مع زوجته . ومن ثم كان كل واحد منهم آثما مذنبا ، فاضطروا جميعا الى التزام الصمت التام !

سلبية أم ايجابية ؟ !

ويرى البعض أن اقامة جيته فى لايبتسيج كانت سلبية تماما ، ولكن هذا الحكم خاطىء ، ولا يستند الى أساس من الصحة . فقد استفاد جيته فى أثناء هذه الفترة فوائد عدة ، منها تلك الاحساسات والانطباعات التى أثمرت ثمرتها الطبيعية مع الايام ، ومنها انشغاله بفيلانت Wieland وشكسبير Shakespeare ، ومنها اهتمامه بالفن ودراسته اياه !

فقد تلقى جيته دروسا فى الرسم والتصوير عند آدم فريدريش ايزر Adam Friedrich Oeser ، وهو تلميذ لفينكلمان Winckelmann مؤرخ الفن . وفى مرسم ايزر فى بلايسنبورج Pleissenburg اشترك جيته فى مناقشات هامة عن الفن .

وفى سنة ١٧٦٨ سافر جيته الى مدينة دريزدن ليزيد من معلوماته ، وليعود عينيه على الاشياء . وهناك استرعى انتباهه نشاط الهولنديين بصفة خاصة ، مما ظل يشغل فكره — حتى فى أيام حياته المتأخرة !

أغانى لايبتسيج

وفى هذه الفترة ، ارتبط بصداقة متينة مع عائلة ايزر ، ووضع كتيبا صغيرا للاغانى لفريدريكه ايزر . وهو جزء من كتاب « أغانى لايبتسيج Leipziger Lieder » وظهرت هذه المجموعة الاولى من اشعار جيته مع طائفة من اغانى ب.ت. برايتكوبف B. Th. Breitkopf بمناسبة معرض الخريف الذى أتيم فى لايبتسيج سنة ١٧٦٩ . ولكن أغانى جيته لم تجد طريقها الى الشهرة ، بل بقيت غير معروفة البتة . وربما يرجع ذلك الى أن جيته لم يقدم فيها الا القليل من الابتكار فحسب ، فجاءت المجموعة لتظهره مجرد مقلد للغزليات بوجه عام ، وان كانت تستوقفنا من آن لآخر بعض الصور والاحاسيس المنبعثة عن ملاحظاته الخاصة .

وكان من الممكن أن يتوقف جيته عند هذا الحد ، ويكتفى بما أصابه من فشل ذريع فى لايبتسيج ، فينصرف عن الشعر الغنائى ، الا أن ولعه الشديد بالشعر هو الذى دفعه الى الاستمرار وتكرار محاولاته .

ولكن جيته كان لا يزال متأثرا جدا فى أعماله بالاساليب الاجنبية ـــ الامر الذى أدى به فى أثناء وجوده بليبتسيج الى ألا يكون قادرا على وضع أشياء جديدة بالذكر مما تنبع عن ذاته . وفى الواقع انه كانت تحيط به من المؤثرات ما كان من الممكن أن يخرج منها بعمل قيم . كذلك أخبره بعض النقاد من المقربين منه بما رأوه غثا فى أشعاره وما اعتبروه من القول الممتاز ، الا أن واحدا منهم لم يكن ليوجهه الى تحسين شعره ، على الرغم من أنه كان من اليسير جدا ان تتسبب كلمة واحدة فى التقدم به كثيرا . ولكن هذا النقد التوجيهى لم يسمعه

جيته فى لايبتسيج ، فجاءت أشعاره ناجمةعنمجرد الانفعالات الداخلية مع ذاته .

حافة القبر

وأثرت بعض الاحداث فى سلوك جيته وغيرته كل التغيير ، ومن ذلك فقدانه لصديقه بيريش ، وانقطاع علاقتـه بأنيته ؛ فصار فظا غليظ القلب ، متطرفا ، شديد الثورة .

وزادت هذه الحال عندما سقط من على ظهر جـواده ؛ فأصيب بحساسية شديدة تجاه كل تصرفاته ، مما سبب له انهيارا كبيرا فى صحته . وأصيب جيته بنزيف دموى حاد ، اقترب به تماما منحافة القبر ، الا أن ذلك عاد عليه بفائدة كبرى اذ أعاده الى صوابه وأثابه الى رشده . فبعـد أن كان يضنى جسمه الضعيف بالنشاط الزائد والسـهر الطويل ، نجده يقرر اتباع طرق أخرى فى الحياة تكفل لنفسه السـلامة ولصحته العودة !

وهكذا عاد جيته فى آخر اغسطس ١٧٦٨ م الى بيت أبيه محطم الجسم خائر النفس ، فاستقبله أهل البيت استقبالا باردا اذ كان أبوه قد أرسله من ثلاث سنوات الى لايبتسيج ، والآمال تحيط به ،فاذا به يعود أشبه بسفينـة طافت بكثير من النواحى ، ورأت الكثير ؛ الا انهـا عادت حطاما ، بلا فائدة ترجى منها !

وكان أبواه غير راضيين عن حاله ، فوقف الاب منهموقفا كله غضب وحنق ، عسى أن يحس بخطئه ، ولكن الام الحانية والاخت الشفوقة خففتا من هذه الصدمة بمواساتهما له ــ وخاصة أن مرضه قد طال ، ولم يسترد صحته الا بعد مدة طويلة !

وأفاد جيته من فترة مرضه هذه ، اذ خرج منها وروحه ملؤها التقوى والايمان اثر أحاديثه مع السيدة التقية فون كليتنبرج والرجل الصوفى الدكتور متس Arzt Metz . وكان جيته منذ الصغر يحترم المقدسات الدينية والمعتقدات عامة ، فاستطاعت بذلك روحه ان تقدر هذا العالم المعتم الخلو من الاحساسات الروحية حق قدره ، وراح يتجنب كل ما يعود عليه فى المستقبل بآثار سيئة أو عواقب وخيمة ؛ كما أنه استفاد بما تلقنه فى هذه الفترة فى كتابة « فاوست » .

فى شتراسبورج

وما أن استرد جيته صحته كلية ، حتى شرع فى اتمام دراساته القانونية واكمالها تحقيقا للرغبةالشديدة التى أبداها والده فى هذاالصدد ، فسافر الى شتراسبورج Strassburg فى ربيع سنة ١٧٧٠ م .

وشتراسبورج مدينة ألمانية الاصل ، وان كانت تتبع فى ذلك الوقت فرنسا منالناحية السياسية فحسب . وما أن وصل اليها جيته حتى شعر بصدى طيب فى نفسه تجاهها ، فهى قرب نهر الراين وفى وسط الامتداد الشاسع لوادى الراين العلوى . ومن ثم تميزت المدينة بحركتها ونشاطها الدائمين ، وبتجارة « الترانزيت » الواسعة . كذلك وجد الشاعر فى ضواحيها الكثيرة المحيطة بها والقرى الصغيرة الجميلة القائمة فى المنطقة ما بين النهر ومرتفعات فازجن فالت Wasgenwald .. وجد فيهما جميعا من الجمال الطبيعى ما يأخذ عليه لبه ، فكانت تحلو له النزهات القصيرة فى هذه المنطقة الخلابة الرائعة .

واذا ما قارنا شتراسبورج بلايبتسيج ، نجد الحياة فى

ستراسبورج أقرب الى الالزاس Elsass ، وان شخصية منطقة جنوب ألمانيا واضحة فيها تماما .

وكانت كاتدرائية المدينة الفخمة موضع اعجاب جيته ، فهى مبنية على الطراز القوطى . وكان الشاعر يعدها أعظم عمل لفن المعمار فى ألمانيا ، بل كان يعتبرها آية من آيات الروعة التى تشهد بعبقرية بانيها Erwin von Steinbach ارفين فون شتاينباخ .

وقد تمتع جيته فى هذه الآونة بحياة المدينة ، وأحس بهدوء نفسه ورقة طباعه يعودان اليه مع الايام . وصارت شتراسبورج أكثر أهمية له من لايبتسيج التى بدأت فى الاختفاء من ذكرياته شيئا فشيئا ، وخاصة بعد أن علم بزواج أنيته .

كذلك تخلى جيته عن أسلوب الحياة الذى كان يتمسك به فى فرانكفورت ، كما ترك ما كان يغلب عليه من تأثيرات أجنبية كانت تتنافى فى الواقع مع طبيعته ، مستبدلا بها ما اكتسبه من طباع وتقاليد ألمانية أصيلة .

المشير سالتسمان

وسنحت لجيته الفرصة ليجد الصديق المخلص والمشير الحق ، عندما شارك فى مائدة سالتسمان Salzmann فى حارة كنوبلوخ Knoblochgasse . وكان سالتسمان هذا رجلا فى الثامنة والاربعين من عمره تربى تربية علمية طيبة ، وكان يشرف بنفسه على التوجيه الفكرى للرفاق الصغار الذين يشاركون فى مائدته . وأحرز جيته سمعة طيبة فى انجلباخ Engelbach ، فلما أشرف يونيو ١٧٧٠ على الانتهاء ذهب فى صحبة سالتسمان فى رحلة أطول الى زاربريكن Saarbrücken ، واشترك معهما صديقه فايلانت Weyland .

وفى طريق عودته ، شاهد جيته فى نيدربرون Niederbronn الاطلال المقدسة للمبانى العتيقة ، فألهمته ثنائية « المتجول Der Wanderer » التى أوضح فيها تماما الفرق بين الانسان الذى يتمتع بحياته فى سذاجة والانسان المثقف المسافر عبر ايطاليا . وتدور حوادث هذه الثنائية فى ايطاليا . وقد تأثر جيته فى أسلوب هذه الثنائية بالكاتب الانجليزى المعروف جولد سميث Goldsmith . ويتضح ذلك بوضوح فى نص « انشودة رعاة زيزنهايم Sesenheimer Idyll » فى « الشعر والحقيقة » .

فريديريكه بريون

وفى أكتوبر سنة ۱۷۷۰ قدم جيته — ومعه صديقه فايلانت — الى زيز نهايم Sesenheim ، وهى قرية تقع فى سهل الراين على بعد ست ساعات الى الشمال من شتراسبورج ، وتختفى تقريبا وراء أشجار الفاكهة .

جاء جيته الى بيت قسيس القرية بريون Pfarrer Brion وفى هذا البيت العتيق — الذى صوره لنا جيته مرارا — كانت تعيش عائلة طيبة محسنة . وكانت زوجة القس على صلة قربى ونسب مع فايلانت ، فاستضافت الصديقين وأكرمتهما وغمرتهما بحفاوتها .

ومنذ اللحظات الاولى من هذه الزيارة ، استأثرت فريدريكه بريون Friederike Brion ، الابنة الثالثة لهذه العائلة ، التى كانت فى الثامنة عشرة من عمرها . . استأثرت باعجاب جيته ، وشغلت باله . وقد وقع تأثيرها القوى عليه ساعة أن خطت الخطوة الاولى فوق عتبة الدار ، وهى ترتدى الملابس الوطنية .

وما أن عاد جيته الى شتراسبورج حتى بعث اليها برسالة

يسألها فيها صداقته ومراسلته . وتوطـــدت بينهما عرى الصداقة ، فعاود جيته زيارة زيزنهايم الحبيبة فى عيد الفصح ونزل فى بيت القس المضياف حيث بقى عدة أيام ، حتى أعتاد على العائلة التى صارت بالنسبة له أشبه بأعمـدة بريمروز Primrose فى روايات جـولد سميث . وكان وجـــوده فى هذا المكان الهادىء أمرا محببا ، اذ كان جيته شابا محدثا ، فكانت تجتمع اليه الافئدة لتستمع الى ما يرويه من أساطير يندهش لها السامعون. وكثيرا ما كان الاصدقاء يغنون الاغانى الشعبية ، ويرقصـــون الرقصــــات البلدية . وكانت دائرة الاصدقاء هذه تتسع اذ كان جيته يسعى الى صحبة أبنـــاء القرية ذاتهم .

أما علاقاته مع فريدريكه ، فتطورت ودخلتفى دورعنيف اســـفر عن « أغانى زيزنهـــايم Sesenheimer Lieder » التى وصفها جيته بأسلوبه الطبيعى الخاص ، معتمدا فى ذلك على ما صادفه بنفسه فى حياته الشخصية ، وجاعــــلا من ذلك موضوعا لشعره .

الطريق الى الشعر الاصيل

وظهر عامل جديد ساعد على تثبيت جيته فى هذا الاتجاه ، فقد جاء الى شتراسبورج ، فى خريف سنة ١٧٧٠ ، يوحنا جوتفريت هيردر Joh. Gottfried Herder، مكتشف الشعـــر الشعبى . وأقام هيردر وقتا غير قصير فى « اللوفر Louvre » اذ كان يجرى عملية جراحية فى عينيه ، وذهب جيته لزيارته هناك بدافع من الشهرة التى سبقت هيردر الى تلك البلدة .

وكانت هذه الزيارة فاتحة عهد جديد لجيته ، فقد أعجب الشاب بهيردر اعجابا شديدا ، حتى أنه ظل يواظب على لقياه

منذ ذلك الوقت ، وراح ينهل من تجاربه ، ويجترف من وافر معلوماته وواسع خبراته .

وكان جيته يستمع الى هيردر فى دهشة ، وهو يفتح أمامه الطريق المؤدى الى الشعر الاصيل الذى يوجد فى كل مكان حتى اذا ما ظهر عبقرى أمكنه أن يعبر عنه ويكشف عن ذاته مباشرة .

ودل هيردر جيته على الاصول الحقيقية ، لا المنمقة ، ومن ثم الشعر الاصيل والاغانى الشعبية ، ثم الكتاب المقدس الذى كان جيته يعكف على قراءته فعلا منذ وقت ليس بقصير ، ثم هوميروس ، وأغانى أوسيان Ossian ، وأخيرا ــ أكبر رجال الادب المسرحى فى كل العصور ــ وليام شيكسبير .

وهكذا ، لقنه هيردر كيف يبحث فى الطبيعة ، وكيف يتعمق الى الاصول ، وكشف له ــ باختصار ــ كل أسرار الشعر الحقيقى الاصيل .

واستطاع جيته ــ عندئذ فحسب ــ ان يفهم ماهية وحدة الشعر ، وبدأ اعجابه بشكسبير وعرفانه بعبقريته التى لم تكن بالنسبة له الا « القوة المبدعة » للروح .

ونقل هيردر رسول الانسانية العظيم الى جيته نظريات روسو Rousseau فيلسوف جنيف عن الدين والتاريخ والشعر . وهيردر هو ذاته صاحب نظريات الحاجات العملية الماسة « للثورية » ، فضلا عن انه هو الذى حول اتجاهات جيته بصفة خاصة الى السبل الصحيحة ، ونبهه الى أن الحديث يجب الا يكون ناجما عن الدراسة أو مقلدا للغير ، بل يكون صادرا عن الاحساسات الشخصية الداخلية ومعبرا عنها .

وهكذا عــرف جيته : أين هو وما ينبغى أن يعمـــله فى المستقبل . وعلى الفور ، بدأ فى ترجمة هـــذه الاقوال الى أعمال ، فترك كل ما هو بعيد عن الروح الالمانية ــ وخاصة ما كان من تقليده للفرنسيين ــ وعاد الى الوطن .. وطنه هو حيث وجد الالمان « وانبثقوا » . وراح يجمع الاغانى الشعبية الالمانية « التى انبعثت عن الطبيعة مباشرة » . وتغلغل جيته بالفعل الى طبيعة الاغنيـــة الشعبية وادرك كنهها ، ومن ثم استطاع أن يجعل من شعره « هايدنريزلاين Heidenröslein » تحفة فنية رائعـــة ، بل فريدة من نوعها ــ على الرغم من أنه نظمها على أساس مسودة غير مرتبة .

وداعا لفريديريكه

وأخيرا انتهى جيته من دراســـاته وحصل على اجازة الحقوق ، وعاد الى بلده . . ولكنه كان شخصا آخر غير ذلك الذى كانه من قبل !

عاد الى بلده بعد رحلة طويلة عبر الالزاس العلوى ، ثم قال « وداعا » لفريديريكه التى تحطم قلبها عندما اتضح لها انه لم يفكر فى اتحاد قلبيهما ، بل رأت أهدافه تتحول عما كانت عليه من قبل . وهكذا انفصمت هـــذه العلاقة بين جيتـــه وفردريكه . ومع أن هذه الفتاة قد استطاعت أن تتصـــل ــ بعد سفره ــ بأحد أصدقائه فى شتراسبورج ــ وهو ى. م. ر . لنتس J. M. R. Lenz ــ الا انها لم تتزوج قط حتى توفيت فى ســـنة ١٨١٣ ، وكانت فى ذلك الوقت تقيم مع ابن اختها فى ميسنهايم Meissenheim قرب لار Lahr .

ولقد كان لفريدريكه ركنا فى قلب جيته وأهمية فى شعره ولذلك خلدها أروع خلود عندما قدم حكاية حبهما فى صورة بديعة فى مؤلفه « شعر وحقيقة » .

ومما يدعو للاسف أننا لم نعثر لها على صور شخصية قط ، وحتى ذلك الرسم الزيتى ــ الذى ظـل محفوظا لدى عائلتها فترة طويلة ــ اختفى بطريقة غامضة ، كذلك ضــاع الرسم « السلوت » Silhouette ــ الذى كان فى حيازةلافاتر Lavater .

جيته المحامى

قلنا ان جيته عاد الى بلده ، فاستقبله أبوه فى هذه المرة بسرور عظيم وترحاب شديد ، اذ وجد ابنه فى أتم صحــة جثمانية وأحسن حال روحية ، ووجد فى ابنه ما يشرفه وخاصة بعد أن صار ــ الاب ــ مستشارا امبراطوريا !

وفى ٣١ أغسطس ١٧٧١ قبل جيته محاميا فى فرانكفورت ، ولم تمض الا ثلاثة أيام حتى أقسم اليمين فى ٣ سبتمبر أمام فون اولينشلاجر Senator v. Olenschlager على أن يكون مواطنا فرانكفورتيا .

وكان جيته يرنو الى حياة بعيدة عن القيــود ، تجللها الاشعار ، فلم يرق له على الاطلاق هذا العمل الجديد ، فتركه لوالده يقوم به . وقد حاول الاب أن يعلم ابنه كيف يثابر على النظام والعمل فى مهنته ، الا أن جهوده باءت جميعا بالفشــل التام .

وفى الواقع أن جيته ظل فى صراع داخلى شديد منــذ عودته الى « بؤرة المتاعب » ، وذلك لاسباب كثيرة فى مقدمتها احساسه بالخطأ الفظيع الذى ارتكبه فى حق فريدريكه .

واتجه جيته الى المسرحية ، فوضع مسرحية تصــور حياة الفارس « جيتس برليشنجن Götz von Berlichingen »

وتناول موضوعات أخرى تتفق أيضا مع العاصفة الثائرة فى نفسه والاجهاد الذى يحس به فكتب برومتهويس Prometheus وأهاسفر Ahasver ، ويوليـــوس قيصر Julius Cäsar وشخصية سقراط Sokrates التى أعجب بهامنذ الصغر الذى كان يعتبره « روح البطولة الفلسفية » ، وأخـيرا كتب فاوست Faust .

وغذت أناشيد بندار Pindar الحماســـية أشـعار جيته الغنائية بلون جديد . ومن ثم نظم مجموعة من الاناشيد غير المقفية وذلك فى أثناء جولاته المتعددة ، ومن بين هذه الاناشيد تلك الانشودة التى يوجه فيها أحدالمتجولين حديثه الى العاصفة «Wanderers Sturmlied» . وغالبا ما كان جيتـــه يعـــود فيدهش لهذه الاناشيد والاسلوب الذى صاغها فيــه ، حيث تداخلت فيها التصورات القديمة مع الحديثة ، واختلطت فيها لغة القدماء مع التعبيرات الباهـــرة التى تميز بها الاسلوب الحديث لجيته الذى كان مدعاة لفخره وزهوه .

عودة الى الطريق العاطفية

وكان جيته يسافر فى أثناء رحلاته من آن الى آخر الى درامشـــتات Darmstadt وهومبـورج Homburg ليقابل الشخصيات الادبيـــة فيهـــا . والتقى فى دارمشـــتات بكارولينه Die grosse Landgräfin Karoline . وكانت هذه الكونتيسة الكبيرة قد أنشأت مركزا يضم بعض الشخصيات السامية المرموقة .

والتقى جيته كذلك بالمستشار العسكرى ميرك Merck الذى كان دائم التشاؤم بحيث بدا فى عينى جيته « طبعة جديدة » من بيريش . وقد أدرك ميرك مواهب جيته ، وحاول أن يؤثر

ويه تأثيرا مفيدا ، فكان ينقده دائما ، بل ربما جاء النقد مرا ساخرا . وقد ظن البعض أنه هو الذى أوحى لجيته بدور مفيستو Mephisto ، الا أن الابحاث التى نشرها ر. ليبيل R. Löbell تؤكد أنه لم يلعب قط هـذا الدور ، بل على العكس من ذلك ، يرجع اليه البعض الكثير من الفضل . وربما كانت فكرة الاثر المضاد هى الوحيدة التى جعلت صورته تبدو على غير حقيقتها فى « الشعر والحقيقة » . وفضلا عن ذلك ، فقد كان ميرك يقاسى الكثير من الآلام والمتاعب ، وظل المستشار فون موزر Kanzler v. Moser يماريه ، وبقى خصومه يشون به ، وراح أصدقاؤه يكثرون من تخطيئه . ولم يقتصر الامر على ذلك ، فقد خدعته زوجه ذاتها . وقرر ميرك أن يعجل بنهاية هذه المأساة ، فانتحر فى سنة ١٧٩١ م .

وعاد جيته تائبة عن طريق هذه العلاقات الى الطريق العاطفية ــ وهـذا ما تشير اليـه « قصـائد دارمشتات Darmstädter Oden » .

وانضم جيته الى مجموعة كلوبشتوك Klopstock الجذابة التى كانت فى شرف بلاط الكونتيسة الكبير بصفة خاصة .

جيته المستقيم

وساءت جيته الاب تصرفات ابنه هذه ، اذ راح يتسكع هنا وهناك ، يترنم بأغانيه بدلا من أن يؤدى أعماله ويعد قضاياه . وكان الاب غير راض أبدا عن ذلك ، وكثيرا ما أنبه على هذا السلوك ، اذ لم يتصور قط أن أمله فى أن يرى ابنه محاميا كفئا يشار اليه بالبنان .. ثم يك يتصور أن يتبخر هذا الامل ، ويصبح مجرد أضغاث أحلام . وعلى الفور أرسل الاب ابنه الى فتسلر Wetzlar فى مايو ١٧٧٢ ليتدرب

فى المحكمة الامبراطورية العليا . ولكن النجاح لم يصادف هذه الخطوة ، فقد أمر الامبراطور يوسف الثانى باجراء تحقيق كبير للحد من الروتين القديم فى دائرة الصلح بين المتخاصمين فى المدن التابعة للامبراطورية . وهكذا تجمع عدد كبير من المحامين القادمين من جميع المقاطعات فى فتسلر ، وراحوا ينشئون لانفسهم ضروبا من التسلية — ومن ذلك مائدة الفرسان المرحة حيث كانوا يقومون بأتفه الاعمال بطريقة جدية تبعث على الضحك . وانتقلت هذه المائدة بنشاطها الى الريف عندما اعتدل الجو . وكان جيته يشارك هذه الجماعة لهوها ، وكانت الجماعة تطلق عليه لقب « جيتس Götz der Redliche المستقيم » .

وفضلا عن ذلك ، فقد كانت الضواحى الجميلة تستهوى جيته ، فقام بالرحلات اليها . ففى ٩ يونيو سنة ١٧٧٢ ، ذهب مع ابنتى خالة ابيه لانجه Lange الى حفل ريفى راقص فى قرية فوثبرتسهاوزن Volpertshausen التى تبعد حوالى الميلين من فتسلر . وقد اصطحب قريبتاه من « البيوت الالمانية Deutsches Haus » ابنتى العمدة ، فاعجب جيته بكبراهما — وتسمى لوته Lotte . وهى تتميز بجاذبية ساحرة وجمال طبيعى أخاذ ، أوقعه فى حبها — الا أن هذا كان بلا أمل ، اذ كانت الفتاة مخطوبة الى ى . خ . كستنر J. Chr. Kestner ، وهو شاب مخلص من هانوفر Hannover كان يعمل سكرتيرا بالمفوضية . ولم تخمد نار الحب فى صدر جيته ، بل راح يغذيها ويزيد من اشتعالها حتى صار آية من التعاسة مجسمة ، فقرر الرحيل ، وأبلغ لوته ذلك فى كتاب ودعها فيه وداعا مؤثرا .

مكسيميليانه

وفى ١١ سبتمبر غادر فتسلر مصطحبا صديقه بورن

Born ونزل الى وادى لان Lahnthal ومنـــه الى وادى
أيرينبرايتشتاين Ehrenbreitenstein حيث زار السيدة صوفى
فون لاروش Geheimrätin Sophie v. La Roche عضو مجلس
الشورى. وقوبل جيته بحفاوة بالغة ، وخاصة أن ميرك قدمه
تقـديماطيبا . وانعشت نفسه الحلقات التى كانت تنعقد فى
ذلك المكان تبحث فى علم الجمال . ولكن جيتـه سرعان ما
عاد مع ميرك الى فرانكفورت ، ولكن بعد أن رمته مكسيميليانه
Maximiliane ابنـة السيدة صوفى لاروش بسهام عيونهـا
السوداء الساحـرة ، فأصـابت منه القلب . ووقع جيته فى
حبهـا الا أنها تزوجت ـ فيما بعـد ـ من التاجـر الايطالى
الفيـور برنتانو الذى كان يقيم فى فرانكفورت ماين .

آلام الشاب فيرتر

وقد أوحت له علاقته بمكسيميليانه بقصة « آلام الشاب
فرتر Die Leiden des jungen Werthers » الشهيرة التى
نشرها فى سنة ١٧٧٤ ، وأحدثت ضجة فى ألمانيا كلها اثر النهاية
المفجعة التى أنهى بها جيته آلام شاب عاطفى . وفى الواقع أن
جيته استعار هذه النهاية من الحياة ذاتها ، اذ جاءت خاتمة
فعلية لقصة حب ك . ف . جيروزالم K. W. Jerusalem من
فنسلار عندما فشل فى حب السيدة فون هرت Frau v. Hert
فانتحر فى ٣٠ اكتوبر ١٧٧٢ باطلاق رصاصة على رأسـه من
مسدس استعاره من كستنر .

ولم تصل رواية جيته هذه الى ما سببته من ضجة ونالته
من شـهرة بسبب ميزات تضمنتها ذات الرواية أو احـداث
تفردت بها ، ولكن الظروف الخارجية والاحساسات التى تعم
الناس فى القرن الثامن عشر وتحيط بمجتمعهم فى ذلك الوقت

بما فيه من ملذات ومتاعب .. كانت جميعا مقدمة لصورة حقيقية صحيحة كلية ، عكست مرض العصر كما لو كانت مرآة عاكسة . ولا يعنى ذلك ـ بطبيعة الحال ـ أن القصة خلت من كل المقومات الاخرى ، أو أنها اعتمدت على الظروف وحدها ، فقد تميزت بجمال الصياغة ، ودقة الملاحظة النفسية والميل فى شغف وحماس الى الطبيعة .. كل ذلك جعل « آلام الشاب فرتر » تعلو على كل ما كان قد نسج قبلا من ذلك القبيل .

جيتس فون برليشينجن

وسبق أن ذكرنا أن الشاعر وضع قبل « فيرتر » عملا آخر يثير العواطف ، أسماه « جيتس برليشنجن » ؛ وذلك فى سنة ١٧٧٣ م . ونضيف هنا أنه كان لآلام فرتر أثر مباشر على رواية « جيتس برليشنجن » اذ اعادت هذه الرواية مرة أخرى الى المخيلة . ومن ثم أحدثت وقعا كبيرا فى دوائر المجتمع كان أشبه بالعاصفة المرعدة التى تهب بعد جو خانق كان يسوده الوهن .

واذا ما تناولنا قصة « جيتس » ، نلاحظ أن جيته اختار شخصية قوية لروايته ، فقد استطاع البطل أن يلقى القفاز مخاصما العالم وهو يستند الى قوته وحقوقه ، وكافح فى اصرار مدافعا عن سلطة الفرد على الشعوب الخامدة التى لا تتحرك . وجاءت هذه الرواية وبها جرأة فى اتجاهاتها وصياغتها ، كما جاءت من الناحية الفنية متحررة من كل قاعدة ، وخالية تماما من كلما هو مألوف ، فنجحت بذلك فى تحطيم كلما فى طريق التحرك والعاصفة .

وقامت شهرة جيته على أساس متين ، كانت دعامتيه روايتا « جيتس » و « فيرتر » .

نشاط شعرى محموم

ولقد تطور جيته فى السنوات ما بين ١٧٧٣ وسنة ١٧٧٥ ، اذ أنه اعتزل النـــواحى العمليـــة من حياته ، وحـــرم على نفسه الصلات الاجتماعية تقريبا ، حتى بقى شبه وحيـــد بالرغم من كل معارفه ، أو على الاقل لم يشعر بأدنى رضـــا حقيقى فى ما بذله من النشاط الشعرى المحموم .

وبغض النظر عن المقالين الدينيين « رسائل قس فى .. Briefe des Pastors zu ... an den neuen Pastor zu ... الى القس الجديد فى .. » و « مسألتين هامتين من الكتاب المقدس Zwo wichtige biblische Fragen » ولقد تحدث جيته فيهما عن التسامح الدينى وعن حرية نقـــد الكتاب المقدس . وبغض النظر عن القصائد الصغيرة المفردة ــ مثـــل « جانيمت Ganymed » ــ فقد كتب جيته عـــديد من الهجائيات التمثيلية التى كونت قسما من «تمثيليات العرائس الاخلاقيـــــة Moralisch = politisches Puppenspiel السياســـية » . هــذا وقد كتب أيضا مأســـاة « كلافيجـــو Clavigo » .

ونرى فى « احتفـــــال ثلاثاء المرفع (١) من الاب بريى Fastnachtsspiel vom Pater Brey » وفى « الهجـــائيات Satyros» وفى « مقدمة لاحدث وحى الهى للدكتور بارث (٢) » .. نرى فيها بوضوح كيف هاجم جيته ذلك النوع المتعالى

---

(١) ثلاثاء المرفع هو اليوم الذى يحتفل فيه المسيحيون بانتهاء الصيام فيقيمون بهذه المناسبة « مهرجانا » كبيرا يعرف حاليا « بالكرنفال » .

(٢) Prolog zu den neusten Offenbarungen Gottes von Dr. Bahrdt

من الناس وكيف سخر من النبوة الكاذبة لأتباع روسو . وكيف انتقد المذهب العقلى فى شرح الكتاب المقدس ، واضاف الى هذه الاعمال فيما بعد « جولات الفنان فى الارض «Künstlers Erdewallen» و « تأليه الفنان Kunstlers Apotheose » .

ووضع جيته مسرحيته « السوق السنوى فى بلوندرز فايلن Jahrmarktsfest zu Plundersweilern » على طريقة هزلية (Farce) . وانتقد جيته فى « آلهة وابطال وفيلانت Götter, Helden und Wieland » مقالا نشره فيلانت عن « السستة » . وكان فيه متأثرا بالاسلوب الفرنسى فى الكتابة عن الموضوعات القديمة . وأراد جيته بذلك النقد أن يشعل النار فى القصور التى بناها فيلانت فى الهواء عن مجده الادبى .

ولم يستطع جيته أن يتم الكوميديا الجنونية « عرس المهرج Hanswursts Hochzeit » . وقد ساعدته هذه الروايات الضحكة فى مكافحة الاتجاهات غير السليمة ، كما انها احتفظت له بمكانه شاغرا بين الشعراء الفرناسيين (١) . وبالاضافة الى ذلك قاده هذا الاتجاه فيما بعد الى الاوبريت .

كلافيجو

وفى الربع الاول من سنة ١٧٧٤ ، قدم جيته « كلافيجو » نقلا عن رواية للكاتب كارون Caron de Beaumarchais دى بورماشيه .

---

(١) الفرناسيون هى فئة من شعراء أوروبا فى القرن التاسع عشر . وفرناسوس جبل فى بلاد اليونان .

وقد بين جيته فى هذه الرواية مصير المحب غير المخلص الذى اسماه هنا دون خوزيه كلافيخو Don José Clavijo . ووضحت فى الرواية ايضا ملامح من جيته الذى أحس بالخطأ تجاه فريدريكه بريون ، فأراد أن يكفر عن خطيئته ــ تماما كما حدث لفايزلينجن Weislingen فى « جيتس » .

وظهر فى رواية « كلافيجو » تقدم ملحوظ فى الناحية الفنية مقابل « جيتس التالفة Zerrütteten Götz » . وكان ذلك ظاهرا للعيان من البداية ، الا أنه لم يرض ميرك بحال ، وأكد انه يمكن للاخرين ايضا ان يكتبوا رواية مماثلة ، ولذلك فقد كان ينتظر من جيته رواية تمثل العبقرية الحقة .

وقد تأثر جيته فى « كلافيجو » بهاملت Hamlet لشكسبير و « اميليا جالوتى Emilia Galotti » لليسنج دون ان تكون بالطبع تقليدا للاخيرة كما ظن فولفجانج منتسل Wolfgang Menzel . وجاءت آراء معاصرى جيته فى تقييم الرواية مختلفة كل الاختلاف ، وبعيدة ــ الواحد منها عن الآخر ــ كل البعد . ولكننا اذا نظرنا اليها اليوم نراها خلوا من كل ميزة خاصة فهى مجرد قطعة مسرحية صالحة التمثيل ، ولربما كانت بالفعل أكثر أعمال جيته صلاحية لمسرح .

لافاتر والفراسة

سرت شهرة « العبقرى » الكبير الذى وضع « جيتس » و « فيرتر » فى كل البلاد ، وجلبت الى فرانكفورت كثيرا من المعجبين ــ فضلا عن محبى الاستطلاع ــ الذين جاءوا لزيارة جيته . ففى ٢٣ يونيو ١٧٧٤ حضر الى منزل جيته عند هير شجرابن القس المساعد يوحنا كازبار لافاتر

من تسيريش ، وذلك Pfarrhelfer Joh. Kaspar Lavater
لرؤية جيته وكان لافاتر من ذلك النوع الذى ساد فى عصر
شتورم درانج Sturm und Drang ، وكان يتمتع بشعور دينى
يؤمن به كلية ويملك عليه حواسه كلها ، فضلا عن أنه كان ثمة
تشابه جثمانى بينه وبين السيد المسيح ــ وهذا ما كان يهبه
بهجة الوجود السعيد . وأينما كان لافاتر ، فقد كان يبحث عن
صور المسيح والرب فحسب اذ دأب على أن يجعل من الانسان
موضوعا لدراسته . ومن الطريف انه كان يصطحب معه
رسامه الخاص الذى كان يصور له الاشخاص ممن يجتمع
بهم حتى يحتفظ بالصورة تذكارا لهم .

ولقد بدأ لافاتر من الفكرة الخاطئة التى تقول أن جمال
الجسم ــ وخاصة الوجه ــ هو رسول جمال الروح ، ولذلك
حاول ان يعرف شخصية الناس بالفراسة Physiognomie .

وأعرب لافاتر عندما رأى جيته عن سروره الشديد بذلك
وقال انه يرى كائنا عظيم التنظيم . ولم تك فكرة لافاتر
ــ قبل ان يرى جيته ــ عن طراز العباقرة ، مجرد تصور ،
وكان يعتبر الدين عامة مسألة شعور . وبالرغم من ذلك ، اهتم
جيته بلافاتر الذى كانت له قدرة كبيرة على اجتذاب الناس
بل كان يأسر محدثيه بطباعه الالمانية وتبسطه فى الحديث مع
الناس وقد أخرج لافاتر عدة مقالات عن « فراسته فى معرفة
الناس والسلالات (١) » ضمتها أربعة مجلدات من القطع الكبير
(١٧٧٥ ــ ١٧٧٨) . وساهمت هذه المقالات بقسط كبير فى
العبادات والطقوس الدينية للافراد ، واستطاع جيته بذلك أن

---

(1) Physiognomische Fragmente zur Beförderung der Menschenkenntnis und Menschenliebe

رقى احساسه بالفن الجمالى . وواصل لافاتر جمع الصور التى اعتاد ان يضيف اليها بعض الملاحظات التى توصل اليها بفراسته . وتحمس فى استكمال ذلك العمل فيما بعد أيضا حتى صارت هذه المجموعة الضخمة التى خلفها لنا محفوظة فى مكتبة العائلة الامبراطورية فى فيينا .

جولات واجتماعات وأعمال

وفى ٢٨ يونيو ١٧٧٤ سافر جيته ولافاتر يصحبه الرسام شمول Schmoll الى فيزبادن Wiesbaden حيث تناولوا غداءهم ، وقرأ جيته فى « يوليوس قيصر » ، و « اليهودى الخالد «Ewiger Jude» .

وفى ٢٩ يونيو مضى الجمع فى طريقه الى ناساو Nassau وبات ايمز Bad Ems .

وعاد جيته الى فرانكفورت حيث استقبل بازيدوف Basedow الرجل التربوى المتأثر بروح روسو . وسافر الرجل الى ايمز أيضا ليقابل لافاتر هناك .

وظهر جيته ثانية مع المجموعة كلها ، وقام برحلة معهم الى الراين ، ثم وصلوا الى البرفيلت Elberfeld حيث زار زميلا كان له فى الدراسة بشتر اسبورج وهو يونج شتيلنج Jung = Stilling والفيلسوف فريدريك هاينريش يعقوبى Fr. Heinrich Jacobi الذى كان يعيش فى بمبلفورت .

وتحدث جيته مع يعقوبى فى موضوعات عدة ، واهتم بصفة خاصة بالحديث عن سبينوزا Spinoza . وظهرت نظريات يعقوبى فى عدة أشعار فلسفية لجيته .

وفى أواسط اغسطس عاد جيته الى أعماله .

وفي اكتوبر زاره كلوبشتوك ، فتأثر جيته بشاعر « المسيح » ـ الذى كان مسافرا الى كارلزوهه ـ تأثرا كبيرا فى هــذه المرة ـ كمــا نرى فى « فيرتر » . واصطحبه الى Karlsruhe كارلزروهه وذلك لمسافة من الطريق . وفى أثناء العودة وضـع جيته ـ وهو فى عربة البريد ـ أغنيــة « الى أصهار الزمن AnSchwager Kromos » التى كانت تشبه أسلوب هانز زاكس Hans Sachs الى حد ما .

وفى هذه المرة ، بدأ جيته العمل فى فاوست و « اجمونت Egmont » ، تاركا « يوليوس قيصر » للمرة الثانية ـ الامر الذى يوضح الاتجاه الذى كان يسلكه جيته حاليا نحو الطبيعة .

وجاءت سنة ١٧٧٤ م ، من اكثر الســـنوات ازدحاما بالاحداث فى حياة جيته . فقد زاره النقيب فــون كنيبل Hauptmann v. Knebel مصطحبا معه أمير فايمار كارل اوجوست Karl August وقنسطنطين Konstantin ، وعرفهم بجيته فى فرانكفورت . وأبدى الامير اعجــابا كبيرا بروايتى « جيتس » و « فيرتر » ، وجعل جيته موضع تكريمه وعامله معاملة طيبة وقدره بتقدير عظيم . واصطحب جيته هــذا الضابط الى ماينتس Mainz وارتبط بصداقة قوية معه .

وعندما عاد لموطنه ، وجد رسالة تنبئه بوفاة كليتنبرج ، فتأثر لذلك تأثرا عميقا . اذ كانت قد استقبلت من نصــف سنة فحسب لافاتر « رجــل الرب » ، وسرت بذلك سرورا عظيمــا ، وسماها لافاتر « كورداتا Cordata » أى محبوبة القلب .

ليلى

وفى هذه الفترة برزت علاقة جديدة لجيته كان لها أثرها البعيدحيث استمرت من شتاء ١٧٧٤ الى ١٧٧٥ . وبدأتهذه العلاقة فى حفــــل فى حفـــل كونسرت أقيم فى بيت المصرفى شينه مان Schönemann فى بيت ليبنك Liebeneck Hause عند سوق الدقيق الكبير Auf dem grossen Kornmarkte فقد قدمه صديقه الموسيقى كايزر Kayser الى « أنا اليزابيث Anna Elizabeth » وهى فتاة لم تتعد السابعة عشرة من عمرها ، فوقع جيته فى حبها ، وعلى وجه السرعة تجاوبت معه الفتاة الانيقة الشقراء ، ذات العينين الزرقاوين زرقة خفيفة ، وذات التقاطيع الدقيقة والجبهة الساحرة .

وكان جيته لايحتمل ان تكون هذه الفتاة ــ وهى التى تعلمت للمجتمع الراقى ــ لطيفة ايضا مع الاخرين وتعيش فى هذا الجو الذى يكرهه الشـــاعر تماما . ولم يكن لليلى Lili ــ وهى التى ما زالت تعتمد على غيرها ــ ان تنفـــذ ارادتها وخاصة ان جيته اظهر فى عاطفته سلوكا لم يكن يتلاءم مع هذا المجتمع البلوتسوقراطى Plutokratischer Kreis . ومن ثم لم ينظر أقاربها نظرة حسنة الى علاقتهما ، بل كانت نظرتهم نظرة وسط ، اذ لم يريدوا أن يتـــدخلوا فى الامر أو يتخذوا قرارا فاصلا فيه .

وفى ٣٠ مارس ١٧٧٥ رأى جيته كلوبشتوك وهـــو فى طريق عودته الى هامبورج ، واتضح لكلوبشتوك ان جيتـــه يتصرف تصرفات غريبة ناجمة عما احس به فى داخل نفســـه من شك بخصوص ما تسفر عنه علاقتهالمقبلة مع فتاته هذه .

ارفين والميره

وكان حب ليلى قد تغلغل فى نفس جيته تماما ، ولذا نجده يحاول فى الكوميديا الموسيقية «ارفين Erwin und Elmire والميره» ان يصور شعريا المدى السيء الذى تصل اليه مثل هذه العلاقة الوسط . وجاءت روايته تعتمد من الناحية الادبية على رواية جولدسميث « أدوين وانجلينا Edwin and Angelina» الا ان القصة كانت بسيطة للغاية ، كما كانت واضحة فى مبناها .

وتبدأ حوادث القصة بابتعاد الميره عن صديقته المخلصة ايرفين لانها كانت من النوع الهوائى المنقلب . ولم تستطع أمها التى كانت تفكر تفكيرا عمليا خالصا ، ولم يستطع صديق الاسرة القديم (برناردو Bernardo الذى سمى فيما بعد فاليريو Valerio) ان يقوما بمواساتها فى هذه الخسارة التى حلت بها . واعتزلت ايرفين كالناسك فى الغابة حيث قابلت برناردو (الذى كان يسمى فى ذلك الوقت الميره) زاعما انها ستجد فى شخصيته المواسى الرقيق ، ومن ثم يتحدان بعد فراقهما وتعود السعادة لترفرف عليهما .

وأهدى جيته ليلى بعض أشعار هذه القصة التى سرعان ما عرضت فى فرانكفورت ، وحصلت الفتاة على نسخة منها .

ويبدو أن جيته عمد الى اعطاء وصف ذو خيال واسع للفكرة الاساسية للرواية الغنائية « كلاودينه فون فيلابيلا Klaudine von Villabella التى أتمها هى الاخرى فى ربيع سنة ١٧٧٥ . وربما كان قد اقتبس مادتها من قصائد اللصوص الاسبانية القديمة . وفى سنة ١٧٧٨ ، أعاد جيته ــ وهو فى ايطاليا ــ كتابة كل من الاوبريتين ، ونظمهما بعد أن انتزع عنهما أكثر صفات علاقاته الشخصية .

بين الشعر والحقيقة

ويبدو أن جيته لم يحس هو نفسه بشعور عميق كذلك الذى صوره لنا فى حكاية « افين والميره » ، بل كان هو نفسه سببا فى جانب كبير من الخطأ الذى أدى الى ألا تنته هـــذه العلاقة نهايةمرضية بزواج سعيد . حقيق أن جيتـه احب ليلى ، ولكنه لم يكن لديه من العــزيمة ما يذلل العقبـــات التى تعترض طريق هذا الحب ، فكان لذلك أثره على المحبوبة بلا شك .

لقد تقدم جيته لخطبتها رسميا فى يوم عيد الفصح لسنة ١٧٧٥ م ولكن سرعان ما بدأ يشك ثانية فيما اذا كان هــذا الزواج سيكون ناجحا سعيدا . وأراد أن يختبر حقيقة نفسه ، فقام برحلة الى سويسرا فى أواسط مايو من سنة ١٧٧٥ مع الـكونت شتولبرج Graf Stolberg والـكونت كـورت فون هاوجفيتش Graf Kurt v. Haugwitz . ومروا وهم فى دارمشتات ــ بميرك ، ثم رحلوا الى كارلزروهه حيث التقى جيته لاول مرة بخطيبة الامير كارل اوجوست أمير فايمار . وعندما بلغوا مدينة شتراسبورج قابل جيته لنتس Lenz، ثم ذهب وحده الى امنديجن Emmendingen لزيارة اخته كورنيليا التى كانت قد تزوجت منذ سنة ١٧٧٣ من صديقه ى. ج. شلوسر ولكنها لم تشعر بالسعادة التامة فى هذا الزواج .

وفى السابع من يونيو راح جيته يتجول فى مساقط الراين عند لاوفن Laufen ومنها اتجه الى تسيريش Zürich حيث كان قد اتفق مع زملائه فى الرحلة على اللقاء فيها . وزار لافاتر الذى كان يعيش فى بيت فالدريس Waldris على الجانب الاخر من ليمات Limmat وقوبل جيته بترحاب شديد .

وزار الشاعر ايضا بودمر Bodmer الذى كان قد غمره النسيان منذ وقت طويل فى منزله المطل على مناظر رائعــة الجمـــال عند شينبرج الاعلى Schönenberg (فلونترن Fluntern) . ومن ثم قام برحلة على بحـــيرة تســـيريش Zürichsee مع مواطنه باسافانت Passavant

وفى أثناء هذه الجولة المتعة خرجت الى حيز الوجـود قصيدته البديعة « على البحيرة Auf dem See » . وفى هذا المكان الرائع تعاود فكره ذكرياته مع ليلى التى لم تكن لتغيب ذكراها عن نفسه وخاصة بعد ان تأثر بجمال الطبيعة الاخاذ على بحيرة تســيريش ، ثم عنـــد اينزيديلن Einsiedeln فراح خياله واحساسه الشاعرى يغذى هذا الحب فاحس به يقوى ويشتد وينمو على بعد المسافة بينهما .

واتجه الى تل Tell ورويس Reuss ، ثم الى ســان جورتهــارت St. Gothard حيث القى نظرة الوداع الى ايطاليا استعدادا للرحيل والعودة الى محبوبتــــه التى كانت تحتفل فى ذلك الوقت ــ وحدها ــ بعيد ميلادها الثامن عشر ، وخاصة ان القلب الذهبى الصغير الذى أهدته ليلى الى جيته ليضعه فى سلسلة حول رقبته .. هذا القلب الذهبى فعــل فعل السحر ، وملأ الشاعر بالشوق المتزايد لحبيبته ، فراح قبل القلب الصغير وهو يتهيأ للعودة الى « قفص الحب » . وهــكذا تعلق بخيط من ذلك المقطوع الذى أشــار اليــه فى قوله :

"Wie ein Vogel, der den Faden bricht
Und zum Walde kehrt",

أى :

« كالطير يحطم الخيط

ويعود الى الغابة » .

نعم ، لم يقطع جيته الخيط الذى كان يربطه الى معشوقته ليعود الى الغابة بل انه تعلق بكل أثر لهذا الخيط حتى يصل الى الحبيبة الجميلة .

بيبه شولتهس

وتوقف الشاعر فى تسيريش بضعة ايام قضاها مع لافاتر حيث تعرف على بيبه شولتهس Bäbe Schulthess اللطيفة وهى تنتمى الى مجموعة لافاتر ، وتهتم بمسائل علم الجمال اهتماما خاصا ، وكان كايزر الموسيقى يتردد على منزلها ليعلم ابنتها هذا الفن .

وقد كان لها دورها فى حياة جيته اذ ظل يراسلها ويبعث أليها ــ حتى سنة ١٧٩٧ م ــ اشعاره ، كما انها ــ هى أيضا ــ وضعت كتيبا ضمنته اشعار جيته .

الببغاء الحبيس فى قفصه

واتخذ جيته طريقه للعودة الى ارض الوطن عبر بازل Basel وشتراسبورج ، حيث قابل تسيمرمان Zimmermann السويسرى الذى كان صديقا للافاتر والذى كان له كتاب عن « الوحدة Einsamkeit » ، وفضلا عن انه كان يجمع صورا تخطيطية تساعده فى « الفراسة » . واطلع تسيمرمان شاعرنا على صورة تخطيطية «سلوت» لفون شتاين الفايمارية فأعجب جيته تماما بفكرة الصور التخطيطية ، بل دهش للطريقة التى يمكن ان ينعكس بها العالم على هذه المرآة المسلية .

وفى دارمشتات ، قابل جيته هيردر وزوجــه الصغيرة كارولينــه فلاكسلانت Caroline Flachsland . وواصــل سفره فى صحبتهما الى فرانكفورت فوصلها فى ٢٤ يوليو . وسرعان ما احس الشاعر بانه صار ثانية « جبيسا كالببغاء الواقف على مسنده » فى القفص .

وكان جيته يريد برحلته الاولى الى سويسرا ان يتمتــع اولا بالطبيعة على طريقة روسو — والى ذلك يشير فى « رسائل فيرتر من سويسرا Werthers Briefe aus der Schweiz » . ولكن هذه الرحلة أتت عليه كذلك بفوائد أخرى ، اذ ذخرت بالاحساسات الشاعرية التى اجترها فى دنيا الجبال السويسرية ليستعملها فيما بعد فى أشعاره الوفيرة التى خرجت الى الحياة على ارض الوطن ، اذ لم يك ثمة داع للاستعجال فى نشرها الآن .

الباخرة تجنح

وتدهورت علاقات جيته مع ليلى ، ولم تعد سارة البتة . هذا فضــلا عن انه كان على الشاعر أن يفهم بعد اتصــالاته الطويلة مع العائلة فى اوفنباخ Offenbach انهــا « ارتطمت بالصخور » فجنحت كالباخرة التى لا يرجى لها حراك ، حتى اذا ما حل الخريف قضى الامر ، وانفصمت كل صلة بين ليلى وشاعرنا اذ خطبت هذه الفتاة لقريب لها فى سنة ١٧٧٦ ، ولكن هذه الخطبة لم تدم اذ اختفى ذلك الرجل بطريقـــة غامضــة . وفى سنة ١٧٧٨ تزوجت ليلى من المصرفى Bankier برنهارت فريدريش Bernhard Friedrich v. Türckheim فون تيركهايم فى شتراسبورج . وصارت الفتــاة زوجــة

مستقيمة مخلصة واثبتت ــ بثباتها امام عواصف الثورة التى كانت تتهددها من ناحية عائلتها ــ انها رفيعة النفس ، قوية الارادة ، ماضية العزم .

اما جيته ، فقد كان قطع صلاته بليلى يعنى بالنسبة له و وفقا لتعبيره هو ذاته « أزمة » لم يستطع ان يهدىء نفسه من أثرها الا بصعوبة . وكان جيته ينسب الخطأ الاكبر الى أم ليلى وأخيها ــ عشيرتها ــ اما هى ، فقد بقيت احساساته القلبية وعاطفته نحوها على ما كانت عليه نحو محبوبته « السابقة » حتى نهاية حياته .

شتيلا

وفى الوقت ذاته ، جعل جيته من هذا الموضوع رواية جديدة أخرجها للعالم ، حشد فيها ما مر به من تجربة ذاتية . وموضوع الرواية بسيط ، ويتلخص فى ان فرناندو Fernando رجل لطيف ولكنه كان مدمنا على عشق النساء ، حتى انه ترك زوجته الفاضلة سيسليه Cäcilie وابنته لوسى Lucie ليعيش مع شتيلا Stella الجذابة اللعوب التى جعلته ولها فى حبها . وتقع الحرب ، فيذهب اليها فرناندو ، ولكنه عندما يعود منها يجد ان شتيلا وسيسليا اجتمعتا سويا وراحتا تشتركان فى البحث عنه . ولم يقع صراع بين المرأتين على الرجل العائد ، بل تتفقان ــ بناء على نصيحة سيسليا ــ على أن يكونا له كليهما .

وهكذا عرض جيته فى « شتيلا » علاقة رجل بامرأتين تكملة للصورة التى كان قد قدمها من قبل فى « فيرتر » حيث جعل المرأة على علاقة برجلين . واراد الشاعر أن ينتهى بشتيلا

الى حل لعقدة الرواية يماثل ما انتهى اليه فى فيرتر ، ولكن ذلك بدا غير طبيعى فى المجتمع المسيحى . فلاقت الطبعة الاولى من الرواية ـ التى ظهرت فى برلين فى يناير ١٧٧٦ ـ معارضة قوية شديدة من غالبية الناس ، وان كان البعض القليل قد استقبلها استقبالا حسنا .

واضطر جيته الى تعديل هذا « الانتاج غير الاخلاقى » فى سنة ١٨٠٥ ، نظرا «لعاداتنا» التى تقوم كلية على الزواج المفرد Monogamie فأنهى الرواية المعدلة نهاية مؤلمة .

أما الناحية الفنية فى « شتيلا » ، فلم يكن ثمة ما يمكن الاعتراض عليه فيها .

الحب الضائع

صارت حياة الشاعر فى فرانكفورت غير محتملة بعد قطيعته مع ليلى . وخاصة ان حكايتهما صارت حديث المدينة واهتم بها اعداؤه كل الاهتمام ، فعمدوا الى تهويل الامر وتشويه الحقائق فصارت الاشاعات لاذعة ، وراحت تقول انه كثيرا ما كان يتسلل الى بيت ليلى عندما تضىء حجرتها .

وظل جيته يشكو حبه الضائع بنغم حزين مؤثر فى كل من قصيدتيه « شعور بالخريف Herbstgefühl » و « لذة الحزن Wonne der Wehmut » .

دعوة مقبولة

وتأكد للشاعر أن وضعه يقتضى اجراء تعديل شامل وتغيير كلى عاجل . وجاء الحل ذاته مبكرا عما كان يتوقع . ففى ٣ سبتمبر ١٧٧٥ تسلم الدوق كارل اوجوست مقاليد الحكم

فى البلاد . وفى ٣ اكتوبر احتفل بزواجه من الامـــيرة لويزه Luise التى كانت ترى جيته « ملاكا » .

ووجه العروسان الدعوة الى جيته ليقيم مدة اطـــول فى فايمار ، وعلى الفور قبل جيته هذه الدعوة بامتنان . وراح ينتظر المرافق الذى كلفه الداعيان بان يكون فى صحبته الى فايمار . وعلى الرغم من ان الرجل كان فى كارلزروهه الا انه لم يصـــل الى فرانكفورت لفترة طويلة . وراحت الافـــكار السوداء تحاصر جيته ، وخشى الا يخرج بشىء من هذه الرحلة فيكون ذلك مدعاة لشماتة اعدائه وفرحهم . ومن ثم ، قرر ان يســـافر الى هيـــدلبرج Heidelberg تنفيـــذا لنصيحـــة ابيه ، ومن ثم يتأهب للقيام برحلة الى ايطاليا . ولكن البريد حمل اليه فى هيدلبرج رسالة تطلب اليه العودة الى فرانكفورت حيث كان فى انتظاره منـــدوب الدوق الذى اصطحبه الى فايمار .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحقبة الثانية
١٧٧٥ - ١٧٨٨



المدينة الصغيرة

فى الساعات الاولى من يوم ٧ نوفمبر ١٧٧٥ ومع بزوغ الفجر ، وصل جيته الى مدينة فايمار الصغيرة التى تقع على ضفاف نهر الم Ilm ، حيث قدر له ان يقيم البقية الباقية من عمره وان كانت حتى ذلك الوقت لم تك تعنى بالنسبة اليه شيئا خاصا !

وعندما راح يتجول فى المدينة الصغيرة ، الفاها بعيدة تماما عن مظاهر العظمة والفخامة . صحيح ان الاميرة انا آماليا Anna Amalia ـ أم الدوق ـ ظلت لأعوام عدة تعمل على النهوض بفايمار والرقى بها ، ولكن ضآلة دخل الدوقية جعل تنفيذ المشروعات يتم وفق برنامج متواضع للغاية .

مركز الفنون

ومن الظواهر التى تميزت بها تلك المدينة الصغيرة اجتماع المرموقين من اهل الفن والادب فيها حيث كانت الاميرة تحب الفنون والآداب ، وتحب أن ترى كبارالشخصيات تلتف حولها حتى صار قصر فيتوم Wittum الذى كانت تعيش فيه مركزا للفنون فى فايمار . وهكذا راح مجتمع فايمار المختار يضم من حولها « فيلانت Wieland » الذى كان ينشر البريد الالمانى Teutscher Merkur ويمثل العظمة الادبية الالمانية ، وموزويس Musäus شاعر الاساطير ،

وفون آينزيدل v. Einsiedel وفون سيكندروف v. Seckendorf من اساطين موسيقى القاعات ، ثم فون كنيبل K. L. V. Knebel والسيدة فون شتاين von Stein ولويزا فون جيشهاوزن Luise v. Göchhausen وصيفة الشرف التى كانوا يلقبونها «توزنيلدا Thusnelda أو « توزيل Thusel » . وأخيرا جاء جيته وطغى بشخصيته وعبقريته على كل من عداه ، بما فى ذلك فيلانت الذى كان يكبره كثيرا فى السن .

وقد حمل شاعرنا معه من فرانكفورت العشرين فصلا التى تكون ما يسمى رواية « فاوست الاصلية Urfaust » حيث كانت الاساس الذى بنى عليه هذا العمل الشعرى الكبير . وكان جيته اذا ما قرأ منها قطعة قرأها بطريقة مؤثرة تستميل اليه عواطف السامعين ، وتثير فيهم حماسا حقيقيا .

نحو مركز أفضل

وكان ذلك يبعث فى نفسه الثقة ، الا انه كان يفكر دائما فى الكيفية التى ينمى بها مركزه لدى الدوق كارل اوجوست ، فقد كان الدوق شابا مرموقا متقد الذكاء ، ثاقب الفكر ، بعيد النظر . وعلى الرغم من انه كان فى مقتبل الشباب (١٨ سنة) الا انه عرف كيف يكتشف المواهب ، وكيف يقدرها حق قدرها وكيف يستغلها بما يعود بالخير على حكومته وبما فيه خير بلاده .

ومما عرف عن الدوق كارل اوجوست ، أنه حطم التقاليد الجامدة فى البلاط ، وعاش حياته فى بساطة خالصة ، وأعلى كل المظاهر الذاتية الطبيعية بان اطلق نفسه على سجيتها — دونما اهمال لمصالح بلاده او تقليل من رفعة شأنه .

وعندما التقى الدوق بشاعرنا جيته ، وجد كارل فيه ذلك الرجل الذى يريد ، فقربه اليه وفضله على كل من عداه من هذه اللحظة الاولى . وتذكر الروايات ان الدوق سأل جينه منذ دخل أرض فايمار ان يوجه اليه الخطاب دون كلفة بان يقول الدوق له "Du" أى انت ، وذلك لانه قرر ان يستبقيه الى جانبه . وهكذا تحولت هذه الزيارة المجردة الى اقامة دائمة .

وفى ١١ يونيو ١٧٧٦ ، عين الدوق صديقه جيته مستشارا للبلاط وضمه الى المجلس . وقد قابل رجال البلاط هذا القرار بالاستغراب الشديدوالدهشة التامة ، بينما كان الدوق مقتنعا بضرورة وضع كل امرىء فى المكان المناسب حيثتكون الحاجة ماسة اليه ، أما عدم وضع العباقرة فى مثل هذا المجلس فأمر اعتبره الدوق خطأ شنيعا فاحشا .

رجل الدفة

وهكذا استحوذ جيته على ثقة الدوق ، ومن ثم قام بعمله الرسمى وكله نشاط وعزيمة حتى استطاع ان يخرص فى سرعة عجيبة كل مقاومة لاعماله الواسعة . ولكن هذا لا يعنى ان الجو صفا له ، فقد بقى الحاسدون يكيدون له ، اذ هالهم ان يكون ابن فرانكفورت دائما الى جوار الدوق ، وان يشاركه أيضا فى انفعالاته الخاصة . وقد أغضبت « افعاله الوحشية» الكثيرين ، وحتى الدوقة الرزينة تأثرت لها ووقفت منها موقف الغاضب . ومن ناحية اخرى ، نجد كلوبشتوك يبعث بخطاب يحذر فيه جيته مغبة تصرفاته ، ويذكره بان الشعراء معلمو الكبار ، ورد شاعرنا عليه بقصيدة « ملاحة Seefahrt » التى أكد فيهاقى فخر أنه « رجل الدفة » .

وعلى الرغم من ان جيته كان يعتقد تماما فى قدرته ، الا ان الاوضاع فى هذه الجماعة الغريبة حقا بدت له – فى البداية – صعبة ، وتراءت له العقبات وكأنما لا يمكن التغلب عليها .

ذكريات

وفى هذه الاوضاع ، كان حب ليلى لم يزل حيا بين جوانحه فاذا ما خـرج ليتمشى فى حقـول تورينجين Thüringen ومزارعها وحقولها ، كان يذكرها ويسترجع تلك « الاوقات الجميلة » التى بدت – وسط متاعب حيـاته الحاضرة – كاسعد ما تكونه الايام ، واكثرها راحة وسكينة . وهذا ما يترنم به فى « اغنية أمسية الصـياد Jagers Abendlied » حيث يقول :

"Mir ist es, denkt' ich nur an dich,
Als in den Mond zu sehn ;
Ein süsser Friede kommt auf mich,
Weiss nicht, wie mir geschehn."

أى :

« انها لى ، أفكر فيك فحسب
كما لو كنت ارى فى القمر ،
قطعة حلوة تجىء الى ،
ولا أعرف ، ماذا حدث لى » .

وكان جيته يرنو الى الراحة والخلود اليها ، وكانت رغبته فى ذلك موضع حديثه أيضا فى الصلاة العاطفيـة او التراتيم القبلية التى يقال لهـا « أغنية ليـل المتجـول Wanderers Nachtlied » التى كتبها فى ١٢ فبراير ١٧٧٦ :

"Der du von dem Himmel bist,
Alles Leid und Schmerzen stillest,
Den, der doppelt elend ist,
Doppelt mit Erqickung füllest
Ach, ich bin des Treibens müde !
Was soll all der Schmerz und Lust ?
Süsser Friede, Komm, ach, komm in meine Brust !"

أى :
« انت ، الذى من السماء :
تسكن كل الآلام والاوجاع ،
هو ، الذى يتضاعف شقاءه ،
ملؤه الضعف بالراحة ،
آه ، اننى تعبت من الافعال ،
لماذا كل الالم والسرور ؟
ايها السلام الحلو ،
آه ، تعال الى صدرى : » .

شارلوت فون شتاين

وقد أهدى جيته هذا الشعر القصير ، الذى انتزعه من أعمق أعماق نفسه ، الى السيدة شارلوت فون شتاين Frau Charlotte von Stein التى كانت قد ربطته اليها فى ذلك الوقت صلات صداقة قوية .

وشارلوت هذه هى الابنة الكبرى للمارشال فون شارت v. Schardt وقد جاءت الى الدنيا فى سنة ١٧٤٢ ، وتزوجت فى سنة ١٧٦٢ من فون شتاين كبير مدربى الجياد ، الا أن هذا الزواج لم تكلله السعادة ، بل احست دائما انه امر كئيب تماما . وغالبا ما كان زوجها يقضى الايام الطويلة بعيدا عن البيت

والاسرة ، اذ كان اهتمامه بالجبال والزراعة اكبر من اهتمامه بنفسه وعائلته . ولذلك راح يولى اهتمامه الاكبر لعمله دون زوجته ، مما سبب لها ملا كبيرا وضيقا شديدا . وجعلها تنشد السلوى فى مجتمع من الاصدقاء يكونون أوفى للبشر منهم الى الحيوان أو الجماد .

ولم يستطع اولادها السبعة — الذين احاطتهم برعايتها وحنانها وكانت لهم نعم الام الرؤوم — .. لم يستطيعوا أن يعوضوها عن هذه الخسارة . ولذلك نشأت بينها وبين جيته علاقة نفسية واجتماعية وثيقة . صحيح انها لم تكن جميلة ولكنها كانت هيفاء انيقة ، ذات عينين واسعتين ، ووجه دافىء جذاب يبعث على الاهتمام ، وقلب رقيق واحساس مرهف تأسرها الموسيقى ويخلب الشعر منها اللب .

وكانت شارلوت تحب صحبة جيته حبا شديدا ، بل لم تكن لتستطيع عنه بعادا ، حتى تطورت علاقتهما الى ان صارت اتحادا تاما بين روحيهما ؛ فقد استطاعت السيدة فون‌شتاين أن تفهم الشاعر بشكل لم يستطعه احد عداها فى فايمار ، وصارت اكبر الناس اخلاصا له وثقة به ، وراحت تشجعه فى عمله وتعاونه على النهوض بمهام وظيفته العليا . وكان جيته يقابل مشاعرها باحساسات مماثلة ، فكان يفضى « لليدا المحبوبة lieben Lida » بأسرار قلبه ، ويشكو اليها ما قد ينغص حياته أو يحل به من كيد وشر . وكانت ليدا تشاركه حتى فى دراساته الواسعة عن شبينوتسا واللاتينيتين الجدد .

وكان لشارلوت نفوذ قوى على شعره ، ومن ثم كانت هى أيضا تحس تماما بكل مايقوله من شعر ينفذ الى أعماقها . وكانت تعرف تماما القيمة الحقيقية لاشعاره الغنائية فقدرتها حق قدرها ، اذ كانت تعتبرها ترجمة خالصة لطبيعة الحياة .

وكانت شارلوت تطلع على ادق العلاقات الشخصية فى حياة جيته مما يعكسه فى رواياته ، بل كان لها ــ دون ادنى شك ــ دورها فى خلق شخصيات روائية عدة فى اعمال جيته الا انها لم تتحدث قط عن هذه العلاقات ولم تنبس ببنت شفة عن هذه الاسرار ، بل كانت تؤمن بانها امور يجب ان تحفظ فى مأمن حتى لا تلوكها الالسنة ، ولذلك عمدت الى أن تودعها مكنون قلبها ، وتغلقه عليها تماما .

وثمة فكرة سيطرت على شارلوت ، مؤداها انه اذا كان لكل منها وجيته جسده الا ان كلا منهما يجب أن يكون فحسب واحدا بالنسبة للآخر ، ولذلك نرى كل واحد منهما يغار على الآخر الى حد ما .

وفضلا عن ذلك ، فقد شعرت هذه المرأة الوحيدة بالشكر تجاه جيته اذ انه شغل نفسه باولادها ، حتى ان ابنها فريتس Fritz المولود فى سنة ١٧٧٣ كتب يعترف ــ فى ذكرياته التى سجلها فى أيام الشيخوخة ــ بانه يميل الى جيته أكثر من أمه ، وانه يدين لشاعرنا بقسط كبير فى كل ماصادفه فى ايام شبابه .

ولعل رواية « آلام الشاب فيرتر » تعطينا فكرة صادقة عن مدى حب جيته للاطفال ، بل ان الصورة التى وردت فى آلام فيرتر انما كان هناك ما يماثلها فى بيت السيدة فون شتاين ، فجيته يبحث عن الراحة بعيدا عن متاعب العمل ، بل المتاعب عامة . ذلك أنه لم يكن يشكو مجرد المضايقات التى تصادفه فى أعماله الرسمية ، فهناك أيضا متاعب ناجمة عن كونه مضطر الى أن يهتم بالجميع ويرضى الكل . وصدق فيلانت عندما قال أن جيته « خادم العامة وهو يحمل خطايا العالم » (١) .

---

(1) Goethe ist "das Faktotum und trägt die Sünden der Welt."

مجال واسع للاعمال

وقد تبدو فايمار بلدة صغيرة ، الا أنها ــ على بســاطتها الخالصة وبعدها عن طرق المرور الرئيسية ــ كانت مجــالا واسعا للاعمال أمام جيته ، اذ كان عليه أن ينظم ويرتب فيها ويخلق منها شيئا جديدا . فنجــد ــ مثلا ــ أن جيته حث على استنبات الحدائق الواسعة المترامية على ضفاف نهــر الايلم ، حتى صارت هذه البساتين مضرب الامثال حتى يومنا هذا . كذلك ، أشرف جيته على بناء القلعة الجديدة والمبانى الرسمية الاخرى فى فايمار وفى يينا Jena .

وعندما شب حــــريق ٦مايو ١٧٧٤ ، الذى أكلت نيرانه مسرح المدينة ، لم يعد ثمة مسرح فى البلاد ، وكان على جيته أن ينفذ رغبة البلاط فى ايجاد وسيلة للتسلية الراقية ، وأن يسد ذلك النقص الفنى الادبى بروايات غراميــة ومهرجانات تنكرية وما شابه ذلك .

ومن ثم لم يكن الامر مستغربا أو فيه مايدعو الى الدهشة ، اذا ما علمنا أنه ــ فى خلال السنوات الاولى من حياة جيته فى فايمار ــ لم يستطع أن ينشىء أية أعمال شعرية كبيرة ، فقد استنفد كل طاقاته فى الاعمال الانشائية الواسعة التى قام بها فى البلاد . ولا يعنى هذا بحال ، أن السنوات الاولى من اقامته فى فايمار قد مرت دون عمل ذى أهمية البتة ، اذ استطاع فى هذه الفترة أن يرتفع بأشعاره الغنائية الى القمة . ففى رحلته الى لايبتسيج ــ التى أراد بها أن يكسب لفايمار المغنية والممثلة الشهيرة كورونا شريتر Korona Schröter ، وضــع قصيدته « البعثة الشعرية Hans Sachsens poetische Sendung لهانز زاكس . وفى الصيف خــرجت له الى النــــور فى غابة تورينجيا بعض القصائد .

وفى سنة ١٧٧٦ وضع أيضا الزولية(١) المعروفة «بروسربينا Proserpina » والمسرحيـــة اللطيفة « Die Geschwister الاخوات » التى جعلها تدور حول فكرة مضادة تماما لرواية ستيلا .

سلطان الشاعر

وثمة حدث هام فى حياة جيته فى هذه الفترة ، وان لم يخصـــه هو مباشرة ـ ذلك أنه نجح فى مسعاه لدى الدوق لتعيين هيردر رئيسا للوعاظ . وباشر هيردر عمله فى كنيسة المدينة فى ٢٠ اكتوبر ١٧٧٦ .

وكان هذا النجاح مبعث رضى فى نفس جيته ، وخاصـــة بعد أن رفضت طلبات أخرى للعمل فى المجتمع الدينى لفايمار . ومن هؤلاء الشاعر كلينجر Klinger من مواطنى جيته وهو مؤلف « زوبعـــة وحـــركة Sturm und Drang » ، وكان قد بلغ اذ ذاك شهرة واســـعة فى روســـيا ؛ ولنتس Lenz المسكين الذى جاء الى فايمار فى ربيع ١٧٧٦ مثقــلا بالديون ، وكان جيته فى ذلك الوقت ما يزال فى لايبتسيج . ونجح لنتس فى أن يضع قدمه فى المدينة ، ويكسب رضى السيدة فون شتاين التى صارت تغار من شريتر . ولكن حماقاته أفسدت الجو وكانت سببا فى الاطاحة به ليحل محله جيته . وهكذا اختفى لنتس من مجتمع فايمار نهائيـــا فى أول ديسمبر ، وأصيب الشاعر بالجنون الذى لازمه حتى وفاته فى ســـنة ١٧٩٢ فى موسكو ـ وهو أشبه بالصعاليك المتسولين . وكان جيته فى فايمار ، حيث كان ينظر اليه كما لو كان شـــوكة فى جنبه أو

---

(١) الزولية نوع من التمثيليات يقوم بتمثيلها شخص واحد ، ويقال لها الالمانية واللغات الاوربية Monodrama .

خنجرا مصوبا الى جسده . فلما ذهب لنتس واختفى تماما ، انكب جيته فى عزيمة ماضية على أعماله .

الحب الزوجى

وفى يوم عيد ميلاد الدوقة ــ ٣٠ يناير ١٧٧٧ ــ وضع جيته « ليلى Lila » التى ضمنها حديثا شيقا وجهه للدوقة وزوجها عن الحب الزوجى . وفهمت الدوقة لويزا ما رمى اليه جيته من هذه القصيدة فقدرته من أعماق نفسها ، وصارت منذ ذلك الوقت أكبر حام له وأكثر الناس تشجيعا له فى أعماله المتزايدة التى كان يريد بأدائها رفاهة فايمار واعلاء شأن البيت الحاكم فيها .

الخطيبة المرقعة

ووضع جيته مسرحية هزلية لم تلق نجاحا كبيرا هى الخطيبة المرقعة « Die geflickte Braut » أو « انتصار الحساسية Der Triumph der Empfindsamkeit حيث تهكم جيته على الحياة العاطفية فى عصره ، وبذلك انتقد أشعاره بنفسه . وبلغت مسرحية « انتصار الحساسية » ذروتها عندما وجد الامير العاشق الذى كان على جانب كبير من الحساسية أن معشوقته لا تفتنه بسحرها المباشر ، بل عن طريق دمية تمثل الاميرة وتحتوى فى داخلها على روايات زيجفارت Siegwart » و « هيلويزه Die neue Heloise الجديدة و « آلام فرتر » .

تسالى البلاط

وقد حار جيته فى بعض الاوقات فى الطريقة التى يوجد بها وسائل التسلية للبلاط ، ومن ثم ببعض أسباب التسلية التى

لم تكن من مستواه الواجب . ومع ذلك يمكن أن نغتفر ذلك اذا ما نظرنا الى ما فيها من قيم أدبية ، وخاصة أنها كانت خالية من المبالغات البيزنطية التى غالبا ما تراها فى الاعمال المشابهة . ولذلك كان من حسن حظه أن كان حرا فى عمله وأنه كان يعود دائما الى الطبيعة الحية .

وفى نهاية سنة ١٧٧٧ ، قام « برحلة الشتاء فى هارتس Harzreise im Winter » وطبيعى انه خلدها بأشعاره . وفى ربيع ١٧٧٨ ، ألف الاغنية البديعة « الى القمر An den Mond التى كانت ــ كما تقول السيدة فون شتاين ــ صوتا أصيلا من الطبيعة ، وخاصة فى الصورة الفريدة التى رسمها للقمر :

"Füllest wieder Busch und Thal
Still mit Nebelglanz,
Lösest endlich auch einmal
Meine Seele ganz."

أى :

« تملأ ثانية الشجر والوادى
تماما بلألاء الضباب ،
وتحطم فى النهاية مرة أخرى أيضا
روحى تماما » .

وجاء تشبيهه الاخلاص بالنهر المندفع المتدفق ، صورة شعرية رائعة ، جعلت السيدة فون شتاين تفضلها على ما عداها بل أصبح بالنسبة لها شعرا مقدسا ، كما رحنا نسمع بعد ذلك .

وقد شغل جيته فى مهمة سياسية ، صاحب فيها الدوق فى مايو ١٧٧٨ الى ديساو Dessau حيث زار بيريش

ثم زار برلين ، وبعـــد ذلك عكف على وضع رواية أكبر هى « افيجينى تاوريس Iphiginie auf Tauris » التى أتمها فى نهاية شهر مارس ١٧٧٩ . وعرضت الرواية لاول مـرة فى ١٢ يوليو فى ايترزبورج Ettersburg حيث قام جيتـه بدور أورست Orest ، والدوق بدور بيلاديس Pyladis وكورونا شريتر بالدور الرئيسى . وكانت هذه القطعة تعبيرا عما حصله من دراسات كلاسـيكية ، فقد اتخـذت شكلها الكلاسيكى من التأثير الايطالى فيه (١٧٨٦ — ١٧٨٧) ، ولو أنها جاءت فى أسلوب روايات عصر النهضة — الامر الذى كتب لها الخلود والبقاء الابدى .

أعباء شخصية وأعباء الآخرين

وهكذا يتضح لنا من هذه العجالة ، أن جيته لم يقض كل أوقاته فى سنواته الاولى بفايمار فى حياة ملؤها المرح والتسلية ، أو فى حياة سهلة خالية من المشاكل ، بل على العكس من ذلك كان مشغولا للغاية وكانت الصعاب تكتنف حياته ، حتى انه صرح بذلك فى خطاب له قال فيه «ما من شخص يدرك ما احمله من أعباء شخصية وأعباء الاخرين » . ومع ذلك استطاع أن يثير دهشتنا وعجبنا واعجابنا بكل ذلك الابداع الذى خلقه فى هذه الفترة كغيرها سواء بسواء .

وجدير بنا أن نذكر هنا ان جيته كان — فى هـذه الفترة التى نتناولها بالحديث الان — مسئولا عن هيئة تعمير الطرق ، وعن وزارة الحربية . هذا فضلا عن انه كان عليه ان يقـوم بالكثير من الاعمـــال فى المنـــاو Elmenau حيث كان يريد تشغيل مناجمها . واستطاع جيته فى هذه الاثناء أن يكتسب خبرة واسعة بأنواع الصخور التى راح يدرسها بعناية ودقة وفى صبر عظيم .

وما من شك فى ان الدوق قد ادرك تماما أية كفاية نادرة قد كسبها الى صفه عندما ضم جيته الى جانبه . ومن ثم فقد أصاب عندما عينه فى السادس من سبتمبر سنة ١٧٧٩ مستشاره الفعلى الخاص .

ترويح عن النفس

ولكن جيته أحس بأنه فى أمس الحاجة الى تجديد المناظر والترويح عن النفس ، ولذا اقترح على الدوق القيام برحلة الى سويسرا .

وفى الواقع أن جيته لم يكن راغبا فى أن يرمى بنفسه الى أحضان الطبيعة مسترسلا لاهوائه ، كما أنه لم يكن يريد « العربدة فى بلاد الحرية » ، بل كان كل هدفه أن يركز فكره من ناحية ، كما أنه كان يهدف من الناحية الاخرى الى ان يلقن صديقه الامير أصول الحكم ومهام الحاكم من خلال أحاديثه عن الطبيعة واجتماعاته بالجادين من الرجال .

وفى اليوم الثانى عشر من سبتمبر ، رحل الدوق وجيته وفيدل فون اتيرزبورج Wedel von Ettersburg مدير ادارة الغابات . وقصدوا فى البداية فرانكفورت حيث زاروا والدى جيته ، وبذلك دخل السرور قلب الام ، فبدت فى أحسن حالاتها النفسية ، أما الوالد فكان أكثر هدوءا منها ، ولربما كان ذلك بحكم السن اذ كان قد بلغ السبعين من عمره فعلا(١) .

وانحدر الركب بعد ذلك الى الراين . وتوقفوا عند شباير Speier حيث زاروا الكاتدرائية ، ورأوا مجموعة صور

(١) توفى الوالد فى سنة ١٧٨٢ .

الراهب فـــون بيرولدينجن von Beroldingen صـــديق السيدة فون لاروش . ومن هناك اتجه الجمع الى الجنوب ، وساروا على محـاذاة الشاطىء الايسر للراين ، ثم انشطرت جماعتهم فريقين : ذهب أولهما - ويضم الدوق وفيدل - الى ستراسبورج ، بينما اتخذ جيته طريقا جانبيا الى زيزينهايم ليزور عائلة بريون . ولم يشعر جيته عندئذ بما كان يحس به قبل أربع سنوات ، بل صار فى حالة تمكنه من القيام بهـــذه الزيارة فى سهولة تامة .

فى أماكن الذكريات

وفى مساء اليوم الخامس والعشرين من سبتمبر ، التقى جيته بفريدريكه على عتبـــة بيت القس المعـروف . وكانت فريدريكه - كما عهدها دائما - طيبة ، تفيض بالعاطفة ، ولكنها كانت فى هذه اللحظة مستعدة لتطورات الامور بروح مستقلة - وخاصة بعد أن صهرت حبها فى تلك السنوات الثمانية التى ابتعد فيها الواحد منهما عن الاخر ، وجعلت من ذلك الحب القديم صداقة مخلصة .

أما العائلة ، فقـــد استقبلت « المستشار الخاص » فى احترام ممتزج بشعور الصداقة والود .

وتناول الحديث ذكريات السنوات الاخيرة واحـداثها ، كما جاء ذكر أخبار لنتس التعس الذى أرسله أخـــوه الى روسيا قبيل ذلك بوقت قصير .

ومـرت فريدريكه مع حبيبها القـــديم على كل أماكن الذكريات ، ولكن جيته ما كان ليبقى أطول من ذلك ، فغادر زيزينهايم فى صبيحة اليوم التالى . وودعته منها القلوب التى

استقبلته ، وصار من الممكن أن يفكر حاليا فى هـــذا الركن المحبوب من العالم وقلبه ينبض بالرضى ـ وذلك نفس ماكتبه فى رسالته الى السيدة فون شتاين .

ولم ير جيته فريدريكه ثانية ، ولكن العــلاقة بينهما لم تنته بهذه الزيارة الاخيرة ، بل اتصلت بينهما المكاتبات . ومن ذلك أنه يقول فى يومياته ، كما نراها فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس ســـنة ١٧٨٠ : « رسالة طيبة من ريكجن ب Rieckgen B. » .

ومن زيزينهايم واصل جيته ســيره الى شتراسبورج ، حيث قابل ليلى تيركهايم Lili Türckheim ، ووجدها أما صغيرة تعيش فى دعة وسعادة .

ومن ثم اتجـه الى امردينجن Emmerdingen فى بادن Baden كى يزور قبر أخته الحبيبة ، التى كانت قد توفيت فى الثامن من يونيو سنة ١٧٧٧ ، مخلفة ورائها بنتين . وقد مس ذلك جيته فى صميم قلبه ، وتأثر كل التأثر لذكراها التى لازمته طوال رحلته التى لحق فيها بمجموعة الرحالة ثانية .

الى سويسرا

وذهبت الثـــلة جميعهـــــا الى بازل حيث زاروا كنوزها الفنية ومتاحفها . ومن هناك ، صعدوا متجهين على طول نهر البيرز Birs من خـــلال وادى مينستر Münster الجميل ، ومن ثم الى بيل Biel ومنها الى برن Bern التى انطبعت صورتها فى خاطره بما قام فيها من مبان شـــهيرة . ونقل جيته صورها بشكل واضح وبايجابية كاملة فى « رسائل

من سويسرا Briefe aus der Schweiz . وازدادت نشوة جيته عندما كان فى ربى برن .

وفى مساء اليوم التاسع من اكتوبر ، رأى الجمع لاول مرة – من بيت القس فى لاوتربرونين Lauterbrunnen – المساقط الخلابة لشتاوب باخ Staubbach ، وأوحت هذه المناظر الى جيته « باغنية Gesang der Geister über den Wassern الارواح المرفرفة على الماء » .

وقد ذكر جيته للسيدة فون شتاين أنه « لا يصل فكر أو وصف أو تصور الى جمال الاشياء وعظمتها وبديع منظرها ، والمرء ينظر اليها تحت الاضواء فى أوقات النهار المختلفة ومن وجهات النظر المتعددة » .

ولما كان جيته قد حاول أن يوجد توازنا مع ما مر من امامه ، وفى نفس الوقت يشكل فى داخلية نفسه انطباعات جديدة ، فقد حاول أن يؤثر فى الدوق حتى يقبل قيادته له بكل ثقة .

مزالق سافوى

واهتم الجميع – عندما وصلوا الى جنيف – ان يزوروا بصفة خاصة كبار الباحثين الطبيعيين ، وقرر جيته أن يحقق للدوق رغبته فى رؤية مزالق Savoyische Gletscherwelt سافوى اذ كان الدوق يرنو اليها بصفة خاصة ، مع أن هذا المشروع كان يبدو فى ذلك الوقت المتأخر من الموسم كمخاطرة كبرى يقومون بها . وفى نوفمبر ، بدأوا فى اختراق وادى شامونيكس Chamounix ودخلوا ميردى جلاس Mer de Glace .
وفى السادس من نوفمبر تسلقوا كول دى بالم Col de Balme

(٢٢٠٤ م) كى يصلوا الى مارتينى Martigny فى وادى الرون Rhône . ودرس جيته فى دأب تكوين السحب ، كما راح يراقب بريق الثلوج وتبخرها ومن ثم اكتشف اشعاعات الجبال الثلجية . وبعد ذلك صعدوا فى وادى فاليس Wallis الى بريج Brieg والى الفرقة Furka . وبالرغم من تساقط الجليد ، فقد واصلوا السفر الى سان جوتهارت فبلغوها فى ١٣ نوفمبر .

ولما كان الجو قد صار آنذاك على درجة كبيرة من البرودة ، فقد قرروا العودة فورا عبر وادى رويس الى تسيريش ، فوصلوها فى ٢٠ نوفمبر ، حيث كان فى استقبالهم لافاتر الذى بدت عليه علامات القلق . وعلى الرغم من أن جيته كان يتوقع أن يسفر حديث الدوق مع لافاتر عن الكثير من المودة والبهجة ، الا أن كارل أوجوست لم يجد فيه شيئا من ذلك . وزاروا هناك أيضا بودمر الذى كان شيخانى الحادية والثمانين من عمره ، وسلمون جسنر Salomon Gessner وبيبه شولتهس .

وفى سويسرا وضع جيته للموسيقى كايزر ـ الذى كان يعيش عيشة متواضعة ـ فكرة الاوبريت « جيرى وبتلى Jery und Bätely » التى لم يكن العنصر السويسرى الاصيل يظهر فيها الا فى اختيار المكان الذى تدور فيه وقائع الاوبريت والشخصيات التى تمثلها . وارسل جيته بالفعل هذا العمل الى كايزر فى ٢٩ ديسمبر ، وذلك من فرانكفورت . وسافر جيته والدوق من تسيريش الى شافهاوزن Schaffhausen ، ومن هناك الى شتوتجارت Stuttgart حيث اشتركوا فى اليوم الخامس عشر من ديسمبر فى الاحتفال بتوزيع جوائز اكاديمية الدوقية . وهنا رأى جيته شيلر وهو يتسلم للمرة الاولى فى

حياته ثلاث جوائز ـ الامر الذى أدى الى أن يقرب بينهما فيما بعد تقاربا عاد بالفائدة الكبرى على كل منهما .

عودة الى العمل

ولم يعد الركب الى فايمار الا فى منتصف يناير سنة ١٧٨٠ ، بعد ان تركت هذه الرحلة الثانية التى قام بها جيته الى سويسرا من التأثير فى نفسه ما يمكن أن يوصف بحق بأنه توازن داخلى وخارجى للعقل . وهكذا عاد الى العمل من جديد بنشاط متجدد ، وانكب اولا وقبل كل شىء على تصريف الاعمال الرسمية . وانعكست على الدوق الى حد كبير الطريقة الجديدة الحازمة التى اتبعها جيته فى هذه الاونة ـ الامر الذى ظهر جليا فى أحاديثه التى صارت أكثر جدية وهدوءا .

فى ٣٠ مارس ١٧٨٠ ، بدأ دراساته للقطعة الكلاسيكية الجديدة « تاسو Tasso » ولكنه لم يستطع أن يتمها فى هذه الاونة اذ حالت دون ذلك الاعمال الاخرى التى كان مشغولا بها ، وفى مقدمتها قصيدة من شعر البلاط « الطيور Die Vögel » وهى هزلية لطيفة ، كتبها بأسلوب اريستو فانز Aristophanes، وملأها بالتلميحات ـ الشخصية والادبية

وفشل جيته كلية فى قطعة أخرى من الشعر الرمزى وهى « الاسرار Die Geheimnisse » ، ذلك أنه توسع فيها الى درجة كبيرة . وانتزع منها جيته فيما بعد « تقديس الشاعر Dichterweihe وأثبتها فى بداية الطبعة الكلية الاولى لاعماله ، « كاهداء » . وعلى أية حال ، أخذت « سنى تعلم فيلهلم مايستر Wilhelm Meisters Lehrjahre » تنمو قليلا ، ولكن فى عزم وتأكيد . وكان جيته قد بدأ العمل فيها بالفعل منذ سنة ١٧٧٧ .

فترة حرجة

وقد بدأت السنة الجديدة ١٧٨١ بداية غير مرضية ، اذ وصلت العلاقات مع الدوق الى حد كادت ان تنقطع معه ، حيث كان الدوق يواصل استمتاعه باللذات والمباهج في الوقت الذى أراد أن يلعب فيه دورا سياسيا لصالح بروسيا . وما كان من جيته الا أن نصحه بأن يبقى على تماسك القوى وتجمعها من ناحية ، وأن يعطيه فسحة أكبر من الوقت ليتفرغ فيها لنفسه . وكان ميرك يؤيد جيته ، ويرى أنه يجب أن يترك فايمار ، ولكن السيدة فون شتاين أقنعته بالبقاء . ومن ثم فكر فى التعبير عن شكره لها بأن يصور علاقاته معها ومع ابنها فريتس Fritz ، ويجعل منها موضوعا لرواية رمزية هى « البنور Elpenor » ، ولكنه لم يجد حلا للمشكلة التى أوجدها فى الرواية ، فبقيت الرواية مجرد قطعة غير كاملة .

وفى نفس الوقت ، تصالح جيته مع البلاط ، وقدم له عندئذ « الاجد فى بلوندرز فايلرن Das neueste von Plunderswcilern » وذلك كنكتة لطيفة بمناسبة عيد الميلاد المجيد .

وفى مايو ١٧٨٢ ، استصدر جيته قرارا بتعيينه لمهمة دبلوماسية لدى بلاطات تورينجن الصغيرة ، كما عهد اليه برئاسة الديوان حيث كان قد رقى الى درجة النبلاء قبل ذلك بوقت قصير .

وفى البداية ، ظهرت فجوة بينه وبين السيدة فون شتاين التى كانت تريد أن تزيد من ربط الشاعر الى نفسها ، ولم تكن لتسمح له « بالمباهج الصغيرة » التى كان يتبعها هو والدوق .

وكانت الرعشة تعترى جيته عند عرض الاوبريت اللطيفة

« الصيادة Die Fischerin» فى صيف سنة ١٧٨٢ فى حديقة تيفورت Tiefurter Park حيث ابتعدت عنه السيدة فون شتاين بنفسها . ولكن سرعان ما تم الصلح وعاد بينهماالوفاق ثانية مما دعا جيته الى أن يقبل ابنها فى بيته ويتولى تعليمه ، طبقا للعادة المتبعة فى ذلك الوقت . وقد وصف فريتس فون شتاين هذه السنوات بالفترة السعيدة من شبابه .

صديق الشدة

وعاد التوافق والانسجام مع الدوق ثانية بعد أن أحس الدوق بالسعادة تغمره لميلاد ولى عهده كارل فريدريش Karl Friedrich (٢ فبراير ١٧٨٣) . وهذا ما يعبر عنه جيته تعبيرا راقيا فى قصيدة « الميناو Ilmenau » .

ووضع جيته بذلك أثراادبيا ينم عن نبل الشاعر وكرمأخلاقه تجاه الدوق الذى كان جيته يدين له بالكثير وخاصة أنه كان يجد دائما فيه فى اللحظات الدقيقة صديقه الوفى المخلص . وكان الامير يتميز هو نفسه قبل كل شىء بالكرم وتأييد الحق دائما على خلاف معظم أترابه . واعتاد ـ بما كان له من شخصية قوية ـ ان لا يتبرم من أية ملاحظة يبديها الصرحاء من الناس . وما من شخص يمكن أن يحجب تلك الحقيقة الواضحة : ان كارل أوجست كان أول من داس الفوارق الطبقية فى القرن الثامن عشر ، وقدر الناس حق قدرهم بأعمالهم ، لا بوضعهم الاجتماعى . ولقد أحسن جيته صنعا عندما بقى هناك فى فايمار اذ لم يكن ليجد راعيا له خيرا من كارل أوجست العظيم . وسرعان ما نتبين هذا بصورة واضحة .

تطلع الى ايطاليا

وكلما طال بجيته الزمن كلما فهم أنه يحتاج قبـــل كل شيء الى وقت حـــر لاتمام أعماله الكبرى التى كان قد بدأها أو أنجزها بطريقة لا ترضيه تماما . وفى السنوات الاخيرة ، لم يحقق شيئا مرموقا من بعد أوبريت « نكتـــة وحيلة وانتقام Scherz, List und Rache » ، فالى جانب الراحـــة التى كان فى حاجة اليها ، كانت ثمة دوافع جديدة تنقصه ، اذ انه استنفد كل ما كانت ألمانيا تستطيع أن تقدمه له ، وأخرج منه أعماله السابقة . كذلك فقد شعر بما ينقص ألمانيا بصفـــة خاصة فى ميدان الفنون الجميلة ، فقـــد كانت فى ذلك الوقت فقيرة من ناحية الكنوز والمتاحف الفنية ، بينما كان هو يريد أن يرى بنفسه أصول الفن ويثقف نفسه بالاعمال الفنيـــة الاصلية . وهكذا زادت لهفته لايطاليا وتطلعه اليها بشكل أكثر مما كان يعتريه فى أيام شبابه ــ الامر الذى عبر فى « مينيون Mignon » تعبيرا رائعـــا ، حتى صـــارت الحال معـــه نوعا من المرض وصار تأجيل الرحلة أكثر من ذلك مستحيلا .

ولقد أراد جيته ــ الى جانب دراسته الاعمال الفنية ــ أن يخرج « افيجينى » فى شكل كلاســـيكى جديد ، وأن يتم « تاسو » و « اجمونت » وأن يعـــدل أوبيرتاته القديمة ، كى يضمها للطبعة الاولى من أعمـــاله (لدى جيشن Göschen فى برلين) . وما كان ليمكنه أن ينجز كل ذلك الا فى ايطاليـــا وحدها حيث يستطيع أن يجد التركيز والراحة المثالية .

فى كارلزبات

وفى سنة ١٧٨٥ ، عندما كان جيته يستشفى للمرة الاولى فى كارلزبات ويعالج نفسه من داء الحصوة ، فكر فى أن يبدأ

الرحلة الايطالية ، ولكنه لم يستطع ذلك . وهكذا مضت سنة أخرى بأكملها ، ثم سنحت له الفرصة لتحقيق رغبته « التى ترعرعت تماما فى نفسه » . وفى نهاية شهر يوليو من سنة ١٧٨٦ ، ذهب للمرة الثانية الى كارلزبات بعد أن تخلص من صديقه القديم لافاتر الذى كان قد جاء اليه مع ابنه بغية الحاقه بجيتنجن Göttingen . وبقى لافاتر منذ جاء الى فايمار — أى قبل ذلك بشهر كامل — عند جيته ، ولم يجد جيته فى لافاتر أو صحبته ما يبعث على المتعة بعد أن استغرق الرجل فى الايمان بالمعجزات وفى التنبؤ بالغيبيات ، بل كان يعتقد كل الاعتقاد أن القديس يوحنا St. Johann سوف يقابله مرة فى احد شوارع تسيريش . وخرجوا بعد هذه الزيارة الاولى والاخيرة وقد « تخلصوا الى الابد مما كان بينهم من مشاعر — سواء أكانت كراهية أو حبا » .

وبينما كان جيته مهتما دائما بالطبيعة والفهم ، بل كان متجها فى تلك الاونة الى ايجاد التأكيد النهائى لهما فى الفن القديم أيضا ، كان لافاتر قد أصبح خياليا حالما لا مقياس عنده ولا معيار حتى أنه كان من الممكن أن يخدعه صبى ريفى بسيط بشىء من التظاهر بالغيبيات . وجاءت القطيعة بين جيته ولافاتر دليلا قاطعا على اختلاف الاتجاه الذى وقفه كل منهما بالنسبة للاخر ، فقد كان جيته كلاسيكيا بينما كان لافاتر صوفيا متدينا .

ولشد ما وجد جيته المجتمع فى كارلزبات مختلفا ! فقد أحاطت به فيها الحياة المتجددة النابضة ، ورأى فيها هدفه ، فضلا عن أنه تلقى فيها الاحساسات والدوافع الجديدة . وفى كارلزبات عقد فى حماس محادثات هامة مع هيردر عن الطبعات الكلية وعن العروض المستعمل فى « افيجينى » ورأى

فى « الكترا Elektra » كيف أن الاتجاه منعقد على تفضيل « البحر القمبى الطويل Langen Jamben » على السطور القصيرة لروايته ، ومن ثم بدأ فى تعديلها .

اجازة

وعندما أخبر جيته الدوق ببرنامج سفره وسأله الاجازة ، منحه الامير الكريم اياها على الفور . ولكن أحد سواه لم يعلم شيئا قط عن نواياه .

وفى ١٤ اغسطس اصطحب جيته السيدة فون شتاين الى شنيه برج Schneeberg فى طريقها الى بلدها ، وفى أثناء هذه الرحلة انتشت مسامعه بتأكيدها له أن « البهجة قد عاودتها ثانية بسبب حبهما » المتبادل ، وهكذا عاد ليعد العدة فى بطء الرحيل .

التسلل

وفى ٣ سبتمبر تسلل جيته خفية من كارلزبات ومعه حقيبة السفر ومضى عن طريق ايجر Eger الى « اوبرفالتس Oberpfalz حيث الغابات والمروج ، وحيث لاحظ باهتمام تكون وادى نهر الناب Naab . وفى ريجينز بورج Regensburg اشترى حقيبة لكتبه وأصول مؤلفاته العديدة كما زار كوميديا اليسوعيين Die Jesuiten-Komödie ومن ثم ذهب الى مينشين München وهو يخشى تقلبات الجو فيها ، الا أنه ألفاه يبشر بأيام بديعة .

وعبر جيته فى عربة البريد بحيرة فالشن Walchensee . وكان السرور يملأه اذ يتذكر الوطن فى هذه الاجزاء الحيوية

من ألمانيا . وفى فالشن استرعت انتباهــه احــدى عازفات الموسيقى الى « شجرة غرب Ahorn » ، ومن هناك انتقل الى ميتنفالت Mittenwalt فى طريقه الى انسبروك التى بلغها فى ٨ سبتمبر فى جو بديع للغاية . وقد سر جيته جدا من موقعها حتى أنه أراد أن تكون الى جانبه فيها الســيدة فون شتاين المحبوبة . وعندما بلغ مرتفعات برينر Brenner اختتم القسم الاول من « يوميات رحلاته » التى كان يوجهها الى السيدة صديقته . ومن ثم ، ذهب الى الجنــوب حيث شاهد كروم ايطاليا وتينها . ونزل فى الفنــدق البسيط فى توربولو Torbolo على بحيرة جاردا Garda وثبتت هناك لوحة تذكارية . وراح يعمل وهو يرى البحيرة التى كان منظــرها يعيد الى مخيلته شاطىء تاوريس Tauris فى « افيجينى » فى الجنوب الفنى بالالوان وبذلك أخــذ اللمسة الكلاسيكية الاولى ، ومضى الامر على ما يرام .

الجاسوس

وقد ذهب بعد ذلك عبر البحيرة الى مالشيزينه Malcesine فى اقليم جمهــورية البندقيــة Die Republic Venedig حيث ظنوه فى بادىء الامر جاســوسا لحساب الامبراطور . وذهب بعــد ذلك الى فيرونا ، ومنها اختار طريق فيشينتسا Vicenza وبادوا Padua ليصــل الى البندقية ، حيث ظل يفكر فى أبيــه الطيب الذى كان من خــير من وصف له ايطاليا والذى كان يعيش ــ هو نفســه ــ قبل ٤٦ ســنة فى ذلك السكون المحبب الى نفســه فى مدينــة البحــيرات الشهيرة . وبعد اقامة تزيد عن أسبوعين ، ترك جيته مدينة البندقية فى ١٤ اكتوبر ١٧٨٦ ، وأسرع عبر فيرارا Ferrara وبولونيا Bologna الى روما ، فوصل فى النهاية « بعــد

ثلاثين سـنة من الرغبـة والامل » فى ٢٩ اكتوبر الى « باب الشعب : بورتادل بوبولو Porta del Populo » . وامكنهعندئذ فقط أن يفتح فمه ويخبر أصدقاءه فى الشمال عن « رحلته السرية » ، ويعلن لهم حظه الحسن ، فقـد فتح عينيه ليرى المدينة الخالدة .

فى موطن الفن

وشعر جيته بان كل ما رآه حتى ذلك الوقت من أعمال فنية انما كان غير كامل او مجرد تقليد ـ بل غالبـا ما كان مشوها . ولقـد أبدى اعجابه وهـو فى الطريق الى روما بنهضـة العمائر فى بالاديو Palladio ، ولكنه ألفى نفسه قد غالى فى تقدير قيمتها ، اذ واجه فى روما القـدم الحقيقى بكماله وتمامه ، يتمثل فى آلاف الامثلة الحية القائمة على أرضها الاصيلة ، وها هو يتلمسها بنفسه ، ويراها بعينيه .

وما من شك فى أنه أيقن أنه يمكن للمرء فى روما أن يدرس وأن يبحث ، ولم يكن لديه من دليـل أو مرشد فى ذلك الا الرسام فيلهلم تيشباين Wilhelm Tischbein، الذى كان يقيم هناك فى روما منذ اربعة أعوام ، صار فيها خبيراً بعالم الفن القديم . وكانت له موهبة عظيمة فى أن يشرح لجيته الامور فى وضوح تام . وكان تيشباين مصور أشخاص معروف تماما ، ومن بين أعماله صورة لجيته مرتديا معطفه الابيض ويرتكن الى عمود متداع .

ولقد عمد جيته مذ كان فى لايبستيج الى أن يخبر بنفسه أصول الفن . ولما كان هو نفسه رساما قديرا ، فقد رأى على الفور بعينيه الثاقبتين فى هذه الصور القديمة ، أنها كلها مبنية على فكرة الجمال التى انطلقت من اطار شـكلها الخـارجى

الذى لم يكن هو نفسه يفهم كيف يفصل بينه وبين المشهد ذاته . ولم يكن عليه أن يتعلم هنا فحسب ، ولكن كان عليه أيضا أن يغير « أسلوبه » الفكرى .

وكان مجيئه الى ايطاليا فرصة ذهبية حقا ، واتته فى الوقت المناسب تماما ، اذ لم تكن مبكرة جدا ولا متأخرة جدا . ولكنه لاحظ شيئا واحدا أكثر مما عداه ألا وهو النزعة الروحية فى الاشكال . وبهذا يشعر الذهن بالسكينة والهدوء . ويؤدى هذا « الهدوء » نفسه الى الابداع الذاتى فى أعماله أيضا .

وفى روما اتجه جيته تماما للفن الكلاسيكى ، الذى كان ذا أثرا على شخصيته ، وبدأ أسلوبه الواقعى يتطور ويتضح بحيث سادت لديه الواقعية التقليدية بصفة دائمة ، وراح يبرزها ــ الى حد كبير بشكل يتفق مع وجهة نظره وحده . وظل الامر كذلك حتى حدث فى سن الشيخوخة ذلك التغير المفيد فى هذا الاتجاه .

كذلك استطاع بعض الناس ممن قابلهم جيته فى روما أن يؤثر فيه . وفى مقدمة هؤلاء المصورة انجيليكا كاوفمان Angelika Kaufmann، وكارل فيليب Karl Philip Moritz موريتس الذى شرح له التصوف القديم وقواعد علم العروض الالمانى .

افيجينى الخالدة

ومن ثم ضاعف جيته جهده فى تعديل « افيجينى » بحيث استطاع أن يرسلها فى ١٣ يناير ١٧٨٧ كاملة الى هيردر ليلقى عليها النظرة النهائية .

ولم يتبع جيته أسلوب الاسطورة الاغريقية تماما ، اذ أن الحل الميكانيكى للصراع عن طريق التدخل الالهى لم يكن أمرا ممكنا تطبيقه فى المسرح الحديث ، ولذا قرر أن يحدث تغييرا داخليا فى شخصية الممثلة الرئيسية . ففى الموقف المريع الذى توجه فيه الكاهنة افيجينى سكين الضحية نحو شقيقها ، نجدها تبحث عن « القوة الادبية فى الروح » التى يمكنها أن نواجه بها الارادة القاسية التى اتصف بها الملك . وتتغلب انيجينى بقوة الحقيقة المطلقة على تلك الوحشية ، ومن ثم يتركها الملك لتعود مع أخيها الى وطنها دون أن يوجد أمامها أى عائق .

وكانت الفكرة الاساسية للرواية ، والمحور الذى يقوم عليه خطف أوريست هى القوة الادبية للانوثة الطاهرة ، وهى التى كانت قد خففت على الاخ أوريست Orest وطأة ما عاناه من عذاب آلهة الانتقام فيورى Furien (صوت الضمير) التى كانت تقتص منه . والتزم جيته فى الوزن الذى استعمله لهذه الرواية ، والحوار الذى كتبها به أن يكون من النوع الكلاسيكى الخالص ، ولكنه أتى فيها بأشخاص تمثل الشخصية الالمانية ، وفى مقدمة هؤلاء افيجينى التى استوحى الكثير من ملامحها من السيدة فون شتاين .

ودهش الناس فى ألمانيا من هذه الرواية الجديدة التى كتبها جيته اذ أنها لم تتقيد بالطابع الكلاسيكى تماما ، بل كتبت بطريقة وبأسلوب بعيد كل البعد عما عرفوه من شخصية « جيتس » . ولكن الايام مرت ، وبدت للناس القيمة الحقيقية لرواية أفيجينى تاوريس ، وراحوا يعدونها اليوم أكمل ما كتبه الشاعر بالاسلوب القديم .

الشاعر والفنان العملى

ولقد أحسن جيته استغلال اقامتـــه الاولى فى روما فى دراسة الاثار الفنية ومحاولة الاستفادة منها شخصيا ، كذلك وجد فى تاريخ فنكلمان للفن كتابا مثيرا لاهتمامه . وقد أدى به ذلك الى أن يؤمن فى النهاية بأنه (جيته) لم يكن مؤهـلا ليكون فنانا عمليا ، بل ليكون شاعرا ، وأن الشعر لا يقل عن الفن فى القيمة قط .

وفى روما ، عرف جيتـــه عن طريق مؤلف الموســيقى كايزر مــؤرخ الفن والرســام يوحنــا هاينريش ماير Joh. Heinrich Meyer من شتيفا Stäfa فى سويسرا ، فكان موضع تقدير جيته تقديرا عظيما ، وجاء به فى ١٧٩١ الى فايمار أستاذا لمدرسة الرسم فيها .

وبعد أن شهد جيته « الكرنفال » الشهير ، قام برحلة مع تيشــباين الى نابولى Napoli حيث رأى وفــرة من الكنوز الفنية ، وتمتع برؤية حياة الناس وأعمالهم . وصعد بعـــد ذلك الجبـــــل الى فيزوف Vesuv . وزار بومبى Pompeji حيث كانوا قد بدأوا فى رفع حطامها .

وركب جيته البحر بعد ذلك الى صقلية ، وكان يصحبه فى هــذه الرحلة مصور المناظر الطبيعية الشهير كنيب Kniep من هيلدزهايم Hildesheim . وفى أثنــاء هـــذه الرحـلة العاصفة ، عمل على اتمام « توركواتو تاسو Torquato Tasso » وفى ٢ أبريل ، رست السفينة فى بالرمو Palermo ، ومن ثم بدأت رحلته المنظمة فى الجزيرة المتعة .

وفى صقلية ، دنت منه « الاغريقية » التى أسست فى هذه الجزيرة مستعمرات عديدة . كذلك تمثل جيته هوميروس

صاحب الالياذة حيا أمامه . وعلى هـذه الشـواطىء ، أحس جيته بما كان للبحر من أثر عميق عليه . ومن هناك استوحى فكرة مأساة « ناوسيكا Nausikaa » ، ولكنهـا لم تزد عن بضعة مشاهد .

وفى ١٤ مايو ، انتقـل جيته مرة أخـرى من ميسينا Messina الى نابولى ، ومنها واصل سفره فى بداية شهر يونيو من سنة ١٧٨٧ الى روما .

اجازة جديدة

وبالرغم من ذلك فلم يبد عليه الكسل قط ، بل نجـده يعلن أنه لا يزال امامه الكثير للدراسة والعمل . وهكذا طلب من الدوق اجازة جديدة لمدة سنة أخرى ، ولو أدى ذلك الى أن يصبح فى المستقبل مجرد فرد عادى. ولكن كارل أوجوست ــ الذى خرج ليشارك فى « الزحف العسكرى » الذى قام به البروسـيون فى ذلك الوقت على هولنـدا ــ أعطاه اجازة غير محددة الاجل ، وأخبره بان هذه الظروف لن تغير شيئا من وضعه فى فايمار أو من عمله معه . ومن ثم ، استطاع جيته أن يستمد مزيدا من الشجاعة لمتابعة أعماله الاخـرى فى أثناء اقامته بايطاليا .

مأساة اجمونت

واتجه فى البـداية ــ حيث كان الصيف حارا ــ الى قصر جندولفو Castell Gondolfo بغية اتمام مأساة « اجمونت » التى كان قد بدأ فى اعدادها فى سنة ١٧٨٢ . ولقـد اعترف الشاعر نفسه بأنه « كان عملا ثقيلا للغاية ، ما كان ليمكن لى أن أتمه قط دون توفر الحرية الملائمة للحياة وراحة البال » .

واستطاع جيته بالفعـــل فى ١١ أغسطس أن ينهى الى الدوق ـ وقلبه مملؤه الفرحةوالبهجة ـ أنه قد أتم هذا العمل . وتشتمل هـــذه الرواية على مادة ترجع الى أيام عبقريتـــه ونبوغه ، ومن ثم كان لها شكل النثر بصفة عامة مع محاولة تقليد أسلوب شكسبير . وعلى العكس من الروايات التاريخية ، فان جيته لم يقدم لنا اجمونت كبطل حربى عظيم ، ورب أسرة ترفرف عليها السعادة ، بل قدمه لنا رجلا عاميا شعبيا ، محبا للحياة ولا يحمل لها هما ، ويثق فى الاخـــرين وثوقا أعمى ، ويسير وهو نائم فوق قمة سطح بيته ذاهبا الى فتاته كليرشن Klärchen ســاعيا بذلك الى حتفه ، فى الوقت الذى يصل فيه الوالى ألبا Alba الى بروكسل لقمــع الثورة والقضـــاء على التمرد . وقبض عليه بتهمة الخيانة وتقرر اعدامه باعتباره ثائرا . وظهرت له كليرشن وهو نائم فى سجنه بمظهر الحرية وتنتهى المأساة بسيمفونية النصر .

وليست المأساة من الناحية الفنية برائعة كل الروعة ولكن مشاهدها تتميز بالجمال الحق . ولقد تفحص شيلر هـــذه المأساة بعين الناقد الخبير ، وعاب عليها بصفة خاصـــة تلك النهايات التى تشبه الاوبرا ، وهاجمها كايزر أيضا بكل شدة وعنف . ولم تنل هـــذه الرواية فى أول عرضها على المسرح الا قليل من الترحيب .

الثمار الاولى

وأعجب جيته بوصف سيراسى Serassi لحياة تاســو ووجد لديه منبعا مناسبا يمده بالاساس المتين الذى يمكنـــه من العودة ثانية لكتابة هذه الرواية .

وفى هذه الفترة التى شعر فيها بلذة العمل ، عاد مـــرة

اخرى الى « فاوست » التى كانت قد دخلت عالم النسيان ، فأضاف مشهدين لها كى تظهر مع مجموعة أعماله ، ولو كانت ناقصة (١٧٩٠) .

وثمت اشعار غنائية يرجع الفضل فيها الى الصداقة العابرة مع « حسناء ميلان Schöne Mailänderin » (ماجدليناريجى Magdalena Riggi) وفكر جيته بالفعل فى تعديل بعض أوبريتاته ايضا . وهكذا أثمرت اقامة جيته فى ايطاليا ثمارا وفيرة بشكل غير عادي .

قاب قوسين

وبقلب مثقل انتزع جيته نفسه من روما فى ٢٢ أبريل ١٧٨٨ ليسافر عن طريق فلورنتسا الى ميلانو ، حيث أجتذبته بقوة لوحة « عشاء الرب » التى رسمها ليوناردو دافينتشى Leonardo da Vinci . ومن ميلانو Milano بعث للدوق ينبئه بان عودته صارت قاب قوسين أو أدنى . واصطحب جيته كايزر معه فى عودته عبر سويسرا .

ولما كان لا يريد الاجتماع بلافاتر ، فانه ذهب عن طريق خور Chur الى فراوين فيلت Frauenfeld ، حيث انضمت اليه بيبه شولتهس واسرتها ، وسافروا جميعا فى اليوم الرابع من يونيو الى كونستنتس Constanz .

ويبدو أن بيبه المخلصة الوفية قد دهشت ، اذ جاء فى يومياتها ، أنها لاحظت تغير سلوك جيته ، فقد عرفته قبل ذلك الصديق القديم للافاتر ، بل كان فى تسيريش دائم النكتة ، يضحك فى مرح مع أولادها ، ولكنه أصبح عندما قابلته فى هذه المرة مثال العالم الرزين الذى تحيط به ظلال من الهدوء

الكلاسيكى البعيد عن كل حماس . ولكن التوافق ظل كما هو دون ان يعتريه تغير قط .

الفن والشعر فحسب

ووصل جيته الى فايمار فى ١٨ يونيو ١٧٨٨ ، فشعر معارفه على الفور بالتغير الذى طرأ عليه ، واتضح هذا التغير عندما اقدم على تغيير مجرى حياته فى فايمار ، فقد عمد فى البداية الى أن يتخلص من الاعمال السياسية بغية أن يتفرغ كلية للفن والشعر ، ولم يحتفظ لنفسه الا بالاشراف على المؤسسات العلمية فى البلاد . وانسحب جيته شيئا فشيئا بعيدا عن هيردر وغيره من الاصدقاء ، كما أنه قطع نهائيا كل علاقاته مع السيدة فون شتاين التى ما كانت لتتعزى قط عن ذلك بل اضطرت لان تعود ثانية الى حياتها « الموحشة » . وهكذا انتهت هذه العلاقة التى لم تكن طبيعيه فى ذاتها .

الاستقرار المنزلى

وفى نفس السن التى كان أبوه قد أسس فيها عائلته كان جيته يرنو أيضا الى الاستقرار ، اذ أنه أدرك كلية أنه لن يستطيع بعد ذلك مجابهة الاوضاع القديمة القائمة فى مجتمع فايمار .

وبعد حوالى شهر من عودته ، قابل كريستيانه فولبيوس Christiane Vulpius وكانت كريستيانه تتجول فى الحديقة عندما رآها جيته ، فأيقظت فى نفسه الاهتمام ، فقد كانت شابة فى الرابعة والعشرين من عمرها ، تتميز بلونها الخمرى الجذاب وحديثها اللطيف الساحر . وكانت تبيع الزهور لتكسب عيشها اليومى اذ كان ابوها موظفا يعانى

حياة مادية عسرة . وعرض عليها جيته ان ترافقه الى منزله ويعيشا سويا ، وذلك على الرغم من ان كريستيانه لم تكن ذات مواهب ذهنية البتة ، وان كانت تتميز بالفضائل العائلية الى حد بعيد .

وتطورت هذه العلاقة بينهما ، فأحبت الفتاة « المستشار الخاص » الذى سرعان ما وجد فى دوام هذه العلاقة فائدة كبرى ومزايا عديدة ، حيث هيأت له بيتا مريحا ، وجعلت من الميسور له ان يعيش عيشة طيبة بنفقات زهيدة نوعا ما . أما اخوها الكاتب الروائى كر . ا. فوليبوس Chr. A. Vulpius فقد أصبح فيما بعد أعظم مساعد لجيته فى المسرح .

وعندما انجبت « الصغيرة المحبوبة » كريستيانه ابنه أوجوست August فى ٢٥ ديسمبر ١٧٨٩ ، اعتبر جيته ان حظه قد اكتمل . ولكن الشائعات فى مجتمع فايمار حاولت كل ما فى وسعها للتفريق بينه وبين عشيرته بعد أن فتح جيته بيته لاخت كريستيانه وعمتها ، وباءت هذه المحاولات كلها بالفشل تماما ، ولم تستطع أن تؤدى الى شىء اللهم الا فى ابعاد جيته عن المجتمع حتى انه لم يعد يظهر فى ذلك الوقت فى المجتمع الا نادرا . ولكن ذلك عاد عليه بفائدة اكبر اذ توفر لديه وقت أطول كان يستغله فى الاعمال النافعة . وفى الوقت ذاته كانت زوجته النبيلة تعمل جاهدة على اعادته ثانية لحياة المجتمع التى كانت تملأ بعض وقته . ولما أصدر « المراثى الرومانية Römische Elegien » التى صاغها وصورها لنا فى ألوان زاهية رأينا فيها ما كان يحيط به من سعادة حقة .

تاسو

وفى ١٧٨٩ ، أتم جيته « تاسو » التى كتبها ليصور فيها تاريخ حياة الشاعر الايطالى . ولكن احداثها بدت كما

لو كانت تقع فى القرن الثامن عشر بدلا من القرن السادس عشر ، كما أن الصورة العامة التى رسمها لبلاط الدوقية فى فيرارا لم تكن الا نقلا عن الاوضاع السائدة فى فايمار . ويذكرنا مصير تاسو بلنتس التعس . ولا يسمح لنا المجال الآن بالدخول فى تفصيل ما احتوت عليه قصة تاسو ، ونكتفى بأن نقول ان « تاسو » جيته لا تقل قوة عن « افيجينى » اذ تضاهيها فى قيمتها بشكل عام ، بل تتميز عنها بجزل عباراتها .

ولم يتم جيته اوبريته « الاخدان غير الاكفاء Die Ungleichen Hausgenossen » اذ بدأ موضوعها للشاعر أبسط مما ينبغى .

وفى سنة ١٧٩٠ كرس جيته نفسه مرة ثانية للعلوم الطبيعية ، وفضلها على ما عداها . ولكنه اضطر فى ربيع سنة ١٧٩٠ الى ترك حياة العزلة ، اذ تسلم أمرا من كارل اوجوست بالسفر الى البندقية ليقابل الدوقة أنا آماليا التى كانت فى ايطاليا فى ذلك الوقت .

فى ايطاليا مرة أخرى

وهكذا يمم جيته وجهه شطر البندقية عن طريق التيرول Tirol وذلك قبيل عيد الفصح . وفى هذه المدينة الساحرة انتظر جيته الدوقة . وعلى الرغم من انه كان يجد فى العيش فى ايطاليا ـ قبل ذلك بعامين اثنين فقط ـ سرورا عظيما ، لدرجة انه لم يكن ليتركها الا بصعوبة ، الا انه أحس فى هذه المرة بضيق شديد اذ ألفى نفسه يعيش فى ظروف مملة تعسة هى تلك التى عبر عنها فى « Venetianischen Epigrammen حكم البندقية » والتى تتلخص فى انه كان مشتاقا الى وطنه وزوجه وولده .

وأخيرا وصلت الدوقة فاصطحبها عن طـــريق فيرونا Verona وبرنر وانسبروك وأوجزبورج Augsburg الى فايمار .

ولكن اقامة الشاعر فيها لم تطل فى تلك المرة اذ ذهب الدوق الى سيليزيا فى الخدمـة البروسية للجيش ، وأراد الدوق أن يكون جيته فى صحبته . ومن ثم سافر جيته فى آخر يوليو الى بريزلاو Breslau . ولم يستفد من الشهرين اللذين اقامهما فى الخارج الا شذرات قليلة من الثقافة ، ولكنه استغلها فى رحـــلاته الواسعة فى جبـــال ريزنجيبيرجه Riesengebirge وفى ولاية جلاتس Glatz فضلا عن رحلته التى قام بها فى شـــهر سبتمبر التـــالى الى كراكاو Krakau وفيليتشـــكا Wieliczka وتشنستوشـــاو Czenstochau حيث استفاد خبرات واسعة وحصل على معارف متنوعة .

مسرح فايمار النموذجى

وبعد أن عاد الى فايمار ثانية ، سبب له مسرح البلاط الذى افتتح فى سنة ١٧٩١ متاعب جديدة ، فقد كان عليه أن يصرف فيه كل الامور الادارية تقريبا ، وقام بواجبه فعلا فى اصرار رغم ما استلزمه ذلك من تضحيات . ولكن يكفيه فخرا أن صار مسرح فايمار ــ تحت ادارته ــ مسرحا نموذجيا ، يغطى على شهرة مسارح هامبورج Hamburg ومانهـايم Mannheim . وقد أصر جيته قبل كل شىء على التمثيـل الطبيعى المعبر ، فضلا عن اصراره على الالقاء الصحيح . ولقن جيته بنفسه الممثلين كيف ينطقون الشعر ، وأعدهم للتمثيل الجماعى الممتاز . وحاول أن يثقف الناس أنفسهم بأن يجلب اليهم الفرق المسرحيـــة الزائرة . ولكن كان ثمت نقص فى

المسرحيات الخفيفة الجيدة فى ذلك الوقت ، حتى ان جيته
كان يضطر من آن لآخر الى ان يؤلف للمسرح ما يسد به النقص
عندما تمس الحاجة الى ذلك . وكانت المحاولة الاولى التى قام
بها فى هذا السبيل نقل « جروسكوفتا Grosskophta » عن
الاصل الفرنسى ، الا انها لم تجد استجابة كافية لدى
الجماهير الذين سخفوا فكرة الاقتباس عن هذه القصة
الفرنسية الضعيفة غير المشهورة .

بشاعة الحرب

وفى ذلك الوقت ، كانت الثورة الفرنسية تلقى ظلالها فعلا
وسرعان ما اضطرت المانيا الى الدخول فى مجرى الاحداث .
ففى شهر ابريل من سنة ١٧٩٢ ، أعلنت فرنسا الحرب على
الامبراطور ، فقبل الحرب بعد أن تحالف مع بروسيا . وعندما
خرج كارل أوجوست الى الميدان ، كان على جيته أن يتبعه .

وهكذا سافر جيته فى نهاية اغسطس الى ماينتس ،
ومنها الى بنجن Bingen ومنها على طول نهر موزيل Mosel
ليصل الى مقاطعة شمبانيا Champagne حيث سنحت له
الفرصة لرؤية بشاعة الحرب بكل درجاتها وان يخبر الاحوال
فى أثنائها . وفى ٢٠ سبتمبر رأى الرصاص المتدفق من المدافع
الذى أدى الى تقهقر الحلفاء فى داخل البلاد حيث فاجأهم
سقوط الامطار بغزارة . وعندئذ سارع جيته بعربة الدوق
سالكا طرقا ملتوية حتى بلغ ترير Trier ، ومنها ركب
البحر الى كوبلنتس Koblenz ؛ ومن ثم توجه الى بمبلفورت
Pempelfort الى يعقوبى Jacobi والى مينستر
Münster ثم الى الاميرة جاليتسن Fürstin Gallitzin
ولم يعد جيته الى فايمار الا فى أواسط ديسمبر .

وكان يكره الثورة التى افزعته فى هدوئه وأثارته من أعماق

روحه اذ انه أدرك تماما ان وراء الشعارات النبيلة التى تقول بها تلك الثورة ، ستكون أعمال تضليلية اجرامية . وهكذا وضع فى سنة ١٧٩٣ تمثيلية من فصل واحد أسماها « المواطن العام Der Bürgergeneral » ضد تصنع البطولة ، ولكنها لم تلق النجاح المنشود اذ بدت الاحداث الخطيرة وقد عولجت ببساطة بالغة ، فضلا عن ان التمثيلية كان ينقصها روح الفكاهة .

وسيطر على جيته شعور بالنفور والاشمئزاز الشديد ، وذلك عندما حضر حصار ماينتس فى صيف سنة ١٧٩٣ اذ بدت له كل ساعة أمضاها هناك حافلة بالكوارث .

البيت الهادىء

ولذلك فقد احس بالسعادة تنبعث من اعماقه اذ استطاع ان يعود ثانية الى وطنه والى دراساته بعد استسلام القلعة فى ٢٣ يوليو ١٧٩٣ .

وكان بيت جيته قد تم بناؤه فى ذلك الوقت فى فراون بلان Frauenplan الذى يسمى اليوم ميدان جيته Goethplatz ومن ثم انتقل الشاعر اليه .

الثعلب الطاهر

وكان عمله الكبير التالى هو اتمام ذلك الشعر الحيوانى « الثعلب الطاهر Reineke Fuchs » الذى جعله من النوع المسدس الاوتاد . وفى هذه القطعة أوضح جيته الحيل الخبيثة للثعلب الماكر المخاتل الغادر بحيث جاءت فى الواقع مجرد صورة للعالم «كما هو» . ويعتبر هذا الشعر الرائع الذى يعتز به الشعب الالمانى أفضل ما كتبه جيته وأفضل ما كتب من بين الاساطير والملاحم القديمة التى تحكى قصص الحيوان كلها .

روايات وقصص

وبدأ جيته فى سنة ١٧٩٣ فى وضع روايته السياسية « المضطربون Die Aufgeregten التى لم يتمها والتى تمت على يد ف . فون شتنجلن Stenglin لعرضها فى مسرح برلين .

وبدأ الشاعر أيضا مأساة « الفتاة من أوبركيرش Das Mädchen von Oberkirch » ولكنه لم يتمها . كذلك لم يوفق جيته كلية فى قصصه التعليمية « رحلات أبناءميجابراتسون Reisen des Söhne Megaprazons » وفى «محادثاتUnterhaltungen deutscher Ausgewanderter مع المهاجرين الالمان » التى أتم سبع قصص منها فحسب . وبالرغم مما فيها من جمال ، فقد كادت أن تدخل اليوم عالم النسيان اللهم الاحكاية ليلى الشهيرة (اسطورةالثعبان الاخضر Märchen von der grünen Schlange) وهى تلك الاسطورة الرائعة التى انكب المفسرون والشراح على محاولة ارجاع ما تتضمنه من اشارات سياسية واحاديث شخصية الى أصولها . وعلى أية حال ، فقد اجمع الرأى منهم على انها نموذج فريد من نوعه ، وما من شك فى أن جيته لم ينتج فى السنوات الاولى من أيام الثورة أى عمل هام عدا هذه القصة الحيوانية سالفة الذكر .

الايام القلقة

وأعقب هذا النشاط الضخم الذى بذله جيته فىالسنوات ما بين سنة ١٧٨٦ وسنة ١٧٨٩ ، فترة طويلة من العمل المتقطع ، اذ كان جيته يشكو فى هذه الفترة من هبوط ينتاب طاقته الشعرية من آن الى آخر ، بل انه اعتقد أن وعاء الشعر

الغنائى لديه قد بدأ ينضح مع مرور تلك الايام القلقة ، ومـع تقدم كتاباته فى العلوم الطبيعية التى كانت تستغرق منه فى الواقع وقتا طويلا . وبدت مرونته تتناقص ، وهذا امر عام نلاحظه لدى كل العباقرة فى اوقات معينة .

ولم تكن الفترة الاخيرة من حياته الا فترة محاولات واعداد كان يجدر ان تتبعها فترة ثانية من الابداع والخلق . وهذا ما أدى اليه الاتصال المثمر الذى تم بين جيته وشيلر .



الحقبة الثالثة

١٧٨٨ – ١٨٢٠


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جيته وشيلر

أحس شيلر تماما بمرارة الحياة غير المستقرة الدائبـــة الترحال وذلك منذ هربه من شتوتجارت فى سنة ١٧٨٢ . وفى الواقع انه لم تسنح له حتى ذلك الوقت فرصة مناسـبة للحصول على عمل ثابت يمكنه من الزواج من شارلوت فون لنجه فيلت Charlotte v. Lengefeld . وتحولت عينـــا حماته المستقبلة الى مدينة فايمار ، كما لو كانت واثقة من انها ستجد فيها الوظيفة المنشودة .

واعتمد الجميع فى ذلك على جيته ، وحاولوا أن يتصلوا به عن طريق السيدة فون شتاين .

وفى ٩ سبتمبر ١٧٨٨ ، جاء جيته معالسيدة فون شتاين التى كانت لاتزال على علاقة طيبةمعه ، وجاءت مع فونشتاين أيضا أختها وزوجـة هيردر .. جاءوا جميعا للسيدة فــون لنجه فيلت فى رودولشتات Rudolstadt حيث انعقد الاجتماع مع شيلر .

اجتماع شاعرى ألمانيا

ولم يتحمس شيلر تماما نحو جيته الذى كان قد عاد للتو من ايطاليا حيث انغمس تماما فى الآراء العتيقة . ولذا اعتبره ، بالرغم من كل المزايا الروحية ، جافا باردا مترددا ولو انه قد قدر لهما ان يتقاربا ــ الواحد منهما الى الآخر ــ أكثر عن ذى قبل ، لا تضح لهما أن طباع كل منهما كانت تبدو

مختلفة فى أساسها . وكان شيلر يرى جيته أشبه بأنطونيو الى حد كبير . وبدا شيلر — وهو الذى يصغر جيتـــه بعشر سنوات — كالعاصفة عندما راح يتحـدث عن « الناهبـــون Räuber » و « فيســـكو Fiesco » . وفى النهاية نفذ بما به من دراسة فى التاريخ والفلسفة الى الروايات التى تصطبغ بالصبغة التاريخية . واحس شيلر — وهو الشاعر — بان جيته اساء فهمه ، ولكنه احس فى الوقت ذاته بان جيته يعتقد انه (شيلر) ليس بالروائى وانما المؤرخ . وبعد هذا الاجتماع قام جيته بالخطوات اللازمة لتوظيفه ، وذلك بناء على توصية السيدة فون شتاين . ووجه مذكرة الى الدوق أوصى فيها بكاتب « ثورة هولندا Abfalls der Niederlande » كى يعين أستاذا للتاريخ فى جامعة يينا ، ووافق الدوق على ذلك .

وفى ٢٦ مايو سنة ١٧٨٩ ، بدأ شيلر بالفعل محاضراته العلمية التى تدفق الطلبة عليها بحماس كبير ، وبهذا أمكنـــه الوصول الى غرضه التالى أيضا . ولم يحاول شيلر ان يهتم بأنانية جيته التى احس بها ، اذ رأى انه صار « الآن يسير فى طريقه المنشود » . وكان مركز كل منهما مختلفا ، وبدا اتجاهاهما كذلك ، ومن ثم شـــكا شـــيلر لكيرنر Körner صديق والديه فى دريزدن بكلمات متقدة صادرة عن قلبه فعلا ، فقال ان كل علاقة مع هذا « الانانى » لا تقابل من جانبه الا بالصبر . وكانت اقوال العامة — أن جيته واقعى وشيلر مثالى — قد شاعت ، وبدأت تسيطر فى الغـــالب على كل من الشاعرين الكبيرين ، بل وتبعد كل منهما عن الآخر .

تقدير وتقارب وتحالف

وأسفرت اقامة جيته مع كانت Kant وزيارة جيته

نكيرنر فى طريق عودته من المعسكر فى سنة ١٧٩٠ ـ اسفرت عن مادة طيبة المناقشات بين جيته وشيلر فى يينا . واذا كانت هذه المناقشة لم تصل بهما الى تفاهم الا انه من الممكن ان نقول انهما بدآ الآن يقدران احدهما الآخر ، ويشعران أنه ربما كان الواحد منهما على حق فى آرائه ، وانه قد يستطيع ان يصل الى هدفه . وكان جيته متفوقا على شيلر فى معارف العلوم الطبيعية والفن التشكيلى ، بينما كان شيلر عارفا بالتاريخ والفلسفة وعلم الجمال ، فضـــلا عن انه كان نظريا يرتب النظريات ويبحث فيها . وبينما كان الاول يتبع النشوء ، فان الاخير كان يبحث فى الاشياء النامية . وكان هذا واضحا ، الا أن التوافق بدا كما لو كان قد طرح جانبا ، وذلك وفقا لما عبر عنه شيلر فى مقاله عن « الجمال Anmut und Würde والجلال » حيث قال انه ان لم تكن هناك غاية مشتركة توحدهما فهذه الغاية هى نهاية مآربهما . ولكن حدث عند هذه النقطة أن انكسر الجليد ايضا . وفى ذلك يقول جيته انه بعد اجتماع جمعية العلوم الطبيعية فى يينا فى شهر يونيو سنة ١٧٩٤ ، ترك الشاعران الاجتماع ، ودخلوا فى مناقشـــة عن النباتات ـ وهو بحث جيته المفضل . وببضع خطوط بسيطة رسم جيته نباتا نموذجيا ، فما كان من شيلر الا أن رد بأن ذلك قد يكون مجرد رأى ولكنه ليس صادرا عن تجربة .

وجمعت هذه المناقشة كلا الطرفين ، وجعلتهما يفهمان ان كليهما ـ فى المعنى الحرفى ـ لم يكن بعيدا كل البعد فى وجهات نظره عن الآخر ، ومن ثم ذهب جيته الى منزل شيلر حيث أتما المناقشة ، وتمهد طريق الصداقة والتحالف الذى بقى فريدا فى تاريخ الادب والذى صحبته اكبر الآثار النافعة .

ربيع جديد

وأعجب جيته بشيلر ، وبدأ بتحالفهما « ربيع جديد »



وقد تعاون جيته بنشاط مع شيلر فى ابحاته عن «الزمن» ، وقدم له أيضا المراثى الرومانية ثم مناقشات مع المهاجرين الالمان التى كان يلمح فيها عن كتاب ديكاميرونه Decamerone وأخيرا قدم له تلك الترجمة التى كان يتباهى بها للغاية للسيرة التى كتبها بنفسه بنفينوتو شيللينى Benvenuto Cellini الصائغ النحات الفلورنتسى (١٥٠٠ - ١٥٧٠) . وفى صيف سنة ١٧٩٥ ، رتب فى كارلزبات شعر الحكمة الذى كتبه فى البندقية ، اينشره فى مجلة شيلر الفنية فى سنة ١٧٩٦ .

نقد المنافقين والشواذ

ولما لم تستطع مجلة شيلر ان تحقق النجاح المنشود ، فقد قرر أن يحجبها على الفور عن الجماهير التى لم تتجاوب معها . ومن ثم اقترح جيته على صديقه تأليف أبيات من الشعر عن كل الدوريات من الصحف والمجلات والاعمال المماثلة ، تقوم على النقد الشديد الموجه للمنافقين واولئك الذين عدموا الذوق . وقبل شيلر هذا الاقتراح ، ووضعا حوالى ألف نكتة شعرية عن الاشخاص والميول والشذوذ فى الادب .

وفى اكتوبر سنة ١٧٩٦ جمع جيته وشيلر ٤١٤ قطعة كعدد وال من مجلته الفنية لينشرها شيلر فى سنة ١٧٩٧ . وقد سبب بذلك ضجة شديدة فى ألمانيا ، كما ان كثيرا من الكتاب راحوا ينهجون منهجه ، وان اختلفت كتاباتهم باختلاف قدرتهم الشعرية . ولكن واحدا منهم لم يستطع ان يمحو ذلك الاثر القوى لاقوال جيته وشيلر . وقد ضمت هذه المجموعة السنوية المذكورة أحدث مراثى جيته وهى « Alexis und Dora الكسيس ودورا » التى يتحدث فيها عن شاب يزمع الذهاب فى رحلة بحرية طويلة ، وكان على علاقة عاطفية ترجع لسنوات باحدى الفتيات .

وظهرت نتائج التحالف بين شيلر وجيتــه ، اذ شــجع كلاهما الآخر على الانتاج الشعرى ، وبمساعدة شيلر المشجعة بدأ جيته ثانية فى « فاوست » وانتهى منها فى صيف ســنة ١٧٩٦ .

سنى تعلم فيلهلم مايستر

ووضـــع رواية « Wilhelm Meisters Lehrjahre سنى تعلم فيلهلم مايستر » التى صارت نموذجا يحتذيه الـكتاب بل كانت فى الحقيقة موضع تقليد الرومانتيكيين . وفى هـذه الرواية نجد فيلهلم ابن تاجر غنى ؛ يمر بعدة مواقف مختلفة فى الحياة ، وتضمه أوساط متنوعة من اصحاب الحرف والمهن المختلفة ، فيتأثر بذلك ويشفى تماما مما كان يتوهمه من أنه لا يصلح الا لان يكون ممثلا . ويتسلق فى أثناء رحلته العمليـــة المليئة بالمخاطر سلم الحياة درجة درجة من اسفل الاوساط الى أعلاها ، ويصل فى النهاية الى صحبة المضحكين فى دوائر النبلاء ، ثم يرتقى سلك الرجال « الكاملين » الى درجة يحسد عليها فى فن التمتع بالحياة وفى سبل السلوك . ومن المؤسف أنه كان بطــلا سلبيا ممن يتحتم أن تقــوده النساء حتى يصل بعــد سنوات طوال من التعلم الى الاستاذية .

ولقد زين جيته الرواية « بصور من حياته » وانتقد بشدة هواية الفنون . ومع ذلك ، فلبعض اجزائها قيمة خالدة ؛ وخاصة مينيون والبنت المخطوفة من الجنوب التى ــ يبدو انه قصد بها صورة رمزية لمهمة الانسان الخالدة . وفى ذلك يقول جيته فى أغنيته « الى مينيون An Mignon » :

"Über Thal und Fluss getragen,
Ziehet rein der Sonne Wagen.

Ach, sie regt in ihrem Lauf
So wie deine meine Schmerzen
Tief im Herzen
Immer morgens wieder auf."

أى :

« حملت عبر الوادى والنهر
لتجر عربة الشمس فى صفاء
آه ، فانها تثير دائما فى الصباح فى أثناء جريها
ـ كما يحدث لك ـ احزانى
العميقة فى القلب » .

هرمان ودورتيه

وفى خريف سنة ١٧٩٦ الحافلة بالاحداث بدأ جيتـــه ملحمة جديدة من الشعر الحماسى هى « هرمان ودوروتيـــه Herman und Dorothea » كان قد نشر قبلهـــا مرثية التى بنفس العنوان لتكون نوعا من الاعلان والدعاية عنها .

ولقد كانت المناقشات التى دارت بينه وبين شيلر عن الخصائص المميزة لانواع النظم المختلفة ، وعن انشــــودة « الكسيس ودورا » و « لويزه » لمؤلفها فوسن Vossen أثرها فى انتاج هذه الملحمة .

وفى هذه الآونة بالذات أو قبل ذلك بقليل ، كان جيتـــه قد وجد المادة لهذه المنظومة الحماسية الكبيرة ، مما قد لايتاح المرء أن يجدها مرتين فى حياته ، ومن ثم فقد قرر أن ينكب على العمل فيها فورا .

وكانت القصة قصة فتاة بروتستنتية من سالتسبورج ، اضطرت الى أن ترحل عن وطنها واهلها لتمسكها بعقيدتها .

وسارت الفتاة خلال اقليم اوتينج Otting حيث تعرفت بشاب من الطبقة المتوسطة . وأخذ الشاب هذه الفتاةالشريفة الماهرة الى منزل ابيهلتعمل كوصيفة خادمة ، ثم اتخذها زوجة له على غير ارادة أبيه .

ومن هذه المادة البسيطة كل البساطة صاغ جيته ملحمته الحماسية الذائعة الصيت والتى تعد نموذجا فريدا من نوعه بل تعتبر كاللؤلؤة بين درر الادب الالمانى كلها . صحيح انه قد دلق بالقصة كثير من الشوائب ، وكان عليه أن يستبعد منهـا حكاية المهاجرة هذه ، الا انها قدمت له على الاقل الخيط الذى استطاع هو ان ينسج منه روايته . ولذلك تجده قد اختار لها جوا تاريخيا ضخما هو الثورة الفرنسية ، التى كانت أمواجها تتلاطم فى سنة ١٧٩٦ على مقربة كافية منه عند شواطىء تورينجن . وفى هذا « الوعاء الهام » كون جيته احسن قصة قصيرة كتبها عن الحب سواء من ناحية الشكل أو المضمون ، فان هرمان — الابن الخجول لصاحب نزل صغير فى بلدة المانية صغيرة من تلك البلدان المنتشرة على الضفةاليمنى لنهر الراين — يتعرف بفتاة تخرج فى طريقها هاربة من وجه الثورة . ويجد هرمان هذه الفتاة ، ويحضرها معه للبيت فى نفس الليلة .

ولقد رفع جيته من شأن هذه القصة البسيطة بما أضفاه على شخصياتها من دراسة نفسانية تحليلية ، وما أضفاه من وصف رائع للريف والناس ، فضلا عن استخدامه أوزان الشعر الكلاسيكى والعناوين الفنية التى ما كانت الا لتعرقل نشر هـذه الملحمة على نطاق واسع باعتبارها كتابا شعبيا .

وكانت هذه القصة منذ ظهورها لأول مرة فى سنة ١٧٩٧ موضع اعجاب شديد من الناس ، وراحت شهرتها تزداد

وتنمو مع الايام ، بل يمكن أن نعتبرها احسن اشعار جيته عامة من ناحية الوزن فضلا عن انها اكثرها جمالا ووطنية .

مشروع ملحمة جديدة

وحفزه النجاح الكبير الذى لقيته هذه القصة على وضع ملحمة شعرية جديدة « الصيد Die Jagd » وهى التى لم يتمها فى ذلك الوقت ، بل لم يكتب لها ان ترى النـــور الا كأقصوصة فى سنة ١٨٢٧ .

وكان للمنافسة الشريفة التى دارت بينه وبين شيلر ردحا طويلا من الزمن ، أثرها فى خلق مجموعة من القصص الشعرية تعد بحق من احسن ما انتجاه ، وصارت سنة ١٧٩٧ بالنسبة له سنة القصص الشعرى ، ومن أهم القصص التى انتجها فى تلك السنة « الباحث عن الكنز Schatzgräber » و « صبى الســـــاحر Zauberlehrling» . وقد قال جيته لا يكرمان ان صديقه كان يسأله دوما عن شيء جديد لمجلته الفنية . وهكذا ألف جيته فى ذلك الوقت كتابة القصص الشعرية التى لا تدور حول فكرة « الغيبيات » و « الهيوليات » . ومن اللطيف أيضا ان نلاحظ أن جيته كان يكتب أحيانا بأسلوب شيلر ، ويتكلم بكلماته ، ويعبر عن آرائه .

الرحلة الثالثة الى سويسرا

ووضع جيته برنامجا لرحلة جديدة ، يقوم بها الى ايطاليا فى سنة ١٧٩٧ . وكان ماير قد سبقه اليها ولكن هذه الرحلة لم تتم فى هذه المرة أيضا بسبب ما تميزت به تلك الفترة من قلق واضطراب . وبدلا من هذه الرحلة ، قام جيته برحلته الثالثة الى سويسرا ، فذهب فى ٣٠ يوليو من تلك الســـنة

ومعه كريستيانه وابنه أوجوست لزيارة أمه فى فرانكفورت الماين . وبقى هنـاك حتى ٢٥ أغسطس حيث كان فى اتصالات دائمة مع أصدقائه القدامى فى المنطقة ، كما أنه قام فى أثنـاء هذه الفترة بالكثيرمن الدراسات المتنوعة والابحاث التى تهمه .

ويبدو انه كانت لديه فكرة ان يجعل من رحلتـه رواية استطلاعية تعليمية . ولكنه انشغل فى فرانكفورت الى حـد كبير بحيث انه لم يستطع فى النهاية ان يجمع المواد ، وقرر ان يتخلى عن هذه الفكرة . ولقد نشرت مذكراته عن هذه الفترة تحت عنوان « من رحلة Aus einer Reise in der Schweiz الى سويسرا » وذلك بعد وفاته .

ومن فرانكفورت ، قصد جيته هيدلبرج ثم هايلبرون Heilbrunn حيث زار قاعـة جيتس Goetzens Turm. وأمضى يوم عيد ميلاده فيها ، ثم واصل السفر الى شتوتجارت . ومنها سـارع مرة أخـرى الى مساقط نهـر الراين وراح يتمتع برؤية ذلك المنظـر الطبيعى الرائع .

وفى الطـريق الى تسـيريش أوحت له شجرة تفـاح كانت مغطاة باللبلاب بمرثية « امينتاس Amyntas » .

وفى تسيريش زار بيبه ، ولكن هذا الاجتماع شابه شىء من النكد الذى ربما كان ناجما عن المتاعب التى كان يلقاها فى الدوائر الدينية ، وبعد ذلك توقفت المراسلات مع بيبه أيضا ، وحقدت بالفعل فى أواخر أيامها على صديقها القديم ، فأحرقت كل رسائله اليها قبيل وفاتها (١٨١٨) . وقد تجنب جيتـه صديقه لافاتر طوال هذه الرحلة .

وقد زادت الرحلات عامة من بهجته ، وخاصة تلك التى

قام بها مع ماير فى ضواحى تسيريش حيث ذهب معه فى الثالث من اكتوبر الى سان جوتهارت . وفى طريق عودته ، بلغه نبأ وفاة تلميذته الموهوبة كريستيانة نويمان Christiane Neumann التى صارت ممثلة مرموقة فى مسرح فايمار Weimarer Theater وكانت هذه الفتاة تبشر بمستقبل كبير . واهدى الى ذكراها الطيبـــة المرثيـــة العاطفيـــة « ايوفروزينه Euphrosine » (١٧٩٨) ، وجعل لها أجمل تذكار يمكن أن يكون لتخليد فرد على الاطلاق .

وعنـــدما زار مواضـــع « تل Tellstätten » الخالدة تحمس للكتابة عـــن فيلهلم تل Wilhelm Tell ، ولكن شيلر أخذ ما جمعه جيته من مواد وجعل منها مسرحيـــة رائعة .

قمة النشاط

وعاد جيته من رحلتـــه فى نهاية اكتـوبر ، ومن ثم بدأ على الفور نشاطه الشعرى ، فانكب فى ربيع سنة ١٧٩٨ على كتابة « فاوست » ، وألف بعض القصص الشعرية والاغانى ، كمـــا أكمـــل « Der Zauberflöte, Zweiter Teil المزمار السحرى الجزء الثانى » .

وشرع بعـــــد ذلك فى نشر « بروبيلين Propyläen » وهى مجلة دورية تبحث فى كل فروع الفن ، وقد عهد بنشرها الى الناشر جوتا Gotha فى تيبنجن Tübingen .

ووصـــل جيته الى قمة نشاطه ، ولكن قواه توزعت بين أعماله العديدة ومشاغله المتزايدة ــ الامر الذى لم يمكنه لمدة طويلة من ان يؤلف أى عمل كبير .

وعرف شيلر كيف يستفيد من موهبته بطريقة احسن فانهمك فى ذلك الوقت فى كتابة الرواية التاريخية ووضـ ثلاثيـــة « فالنشتاين Wallenstein » التى استقبلتها الجماهير فى مسرح فايمار بفيض من التقدير والاستحسان وقد لمعت من بين اعمال جيته فى سنة ١٧٩٩ بعض المقطوعات الشعرية الصغيرة بالاضافة الى قصيدته الفنية « الجامع وأنصـــاره Der Sammler und die Seinigen » ولكنها لم تصل الى مستوى انتاج شيلر .

هوميروس ألمانيا

وبدا جيته فى هذه الفترة كما لو كان يمت الى هومير فى الياذته ، اذ حاول ان يجمع بين ملحمة « الالياذة والاوديسة Ilias und Odyssee » وبين الملحمة الالمانيـــة الحماسية « اخيليس Achilleis » . ووصـــل فيها الى السداسية الحادية والخمسين بعد الستمائة ، وعندئذ فقط ادرك انه أخطأ فى طريقة تناول الموضوع ، اذ لم يكن له صلة بالحماسة وأن كان يسير على الطريقة الروائية . أما من ناحية الشعر فكانت هذه الاشـــعار فى الحقيقة تجارى الاشعار القديمة وتباريها .

محمد .. وأعمال أخرى

وقد سبب له المسرح مرة أخرى متاعب جديدة ومشاكل كثيرة اذ لم يكن لديه فى جعبته الا عدد محـــدود للغاية من المسرحيات . ومن ثم انهمك جيته أيضا فى الترجمة ، فنقل فى سـنة ١٧٩٩ قصـــة « محمـــد » لفولتير Voltaire وترجم فى سنة ١٨٠٠ « تانكريد Tankred » وترك البقية على شيلر الذى انتقل الى فايمار فى آخر سنة ١٧٩٩ .

وكان جيته فى هذه الفترة متخلفا عن صديقه الى حد ما ولكنه ضاعف جهده حتى انتهى من « النســـــاء الطيبات Die guter Weiber» (ســـنة ١٨٠٠) ، ومسرحيتى المهرجان « بالايوفرون ونويتربه Paläophron und Neoterpe » و « ماذا نجلب ؟ Was wir bringen » التى ضم اليهـــا قصيدته « الطبيعة والفن Natur und Kunst » فجــاءت بشكلها الكلاسيكى دليلا على طاقة عقل الشاعر التى لم تتأثر بالزمن .

البنت الطبيعية

ولكن المشروع العظيم التالى ـــ الذى بدأ فى تنفيذه بالفعل قد باء بالفشل ، ذلك أن مذكرات الامـــيرة بوربون ـــ كونتى Die Memoiren der Prinzessin Bourbon-Conti قد ادت به الى فكرة خادعة للمسرحية التى كان يريد أن يؤلفها لتكون مثل ثلاثية « البنت الطبيعيـــــة Die natüriche Tochter » (١٨٠٢) ، ولكنه لم يتم منها الا الجزء الاول فحسب .

وفى هـــــذه الثلاثيـــة تحب أيوجينى Eugenie ـــ البنت الطبيعية للامير ـــ دوقا لم تكن لتستطيع أن تتزوجه باعتبارها بنتا غير شرعية . ومن ثم يريد الملك أن يصحح هذا الوضع ، الا ان دوائر البلاط وأخو أيوجينى يقفون جميعا فى وجهـــه ؛ فأخوها لا يسمح بانقاص الميراث ، عدا انهم جميعا كانوا يرتابون فى صدق حب الاميرة للملك والشعب ـــ فضلا عن أنهم يرون فى ذلك خطرا على مصالحهم الشخصية وخاصة بعد أن تحول الملك ضدها . ولم يعد لها سبيل للخلاص الا اذا تنازلت عن حقوقها ، واختارت الفتاة على الفور زوجا مدنيا وقررت ان تقبل الزواج من مستشار فى البلاط بعد أن وعدها بان لاينظر

اسما الا كأخت فحسب ـ وذلك رغبة منها فى أن تصون
لنبيت الذى تأمل أن تكون نافعة له فى ساعة الخطر .

وفى هذه الثلاثية الجميلة ، أراد جيته أن يصور أ
الثورة الفرنسية مسرحيا ، ولكنه انتهى بها فحسب الى
القطعة الوحيدة التى قال عنها ل . تيك L. Tieck أنه
خمس فصول أولى تبدو فيها الطرق التىكان النبلاء يت
فى البلاط والتى تسببت فى ذلك الانهيار المتوقع له . ،
هذا العمل لم يخرج الى حيز النور منه الا هيكله فحسبه

وفى ٢ ابريل ١٨٠٣ ، مثلت المسرحية لاول مرة فى
ولكنها لم تترك أى أثر على المشاهدين بل ظلوا جامدين
بالرغم من « قوة لغتها وموسيقاها » . والى جانب ذلك
فشلت المسرحية لعدة أسباب منها نقص الحركة من نا
فضلا عن الاتيان بشخصيات كلها مجهولة ، فيما عدا د
الدور الرئيسى التى كانت منطبقةنبيلةوتسمى « اويجي
وضايق هذا الفشل جيته كثيرا ، فضلا عن أنه عانى
مما وجه اليه من لوم ونقد عنها ، وقد سخر منه هيردر
كانت نفسه تنضح بالمرارة من جيته ، وقال ان ابنه ال
يحبه أكثر من ابنته . ولم تمض بعد ذلك الا بضعة أ
مات هيردر فى ١٨ ديسمبر ١٨٠٣ ، ودفن فى كنيسة المد
ولكن جيته لم يشأ أن يسمح لنفسه بالخوف من الفشل

مسرحية جيتس

وفى سنة ١٨٠٤ ، اقتبس للمسرح قصته «جيتس itz
فألغى منها كثيرا من المناظر ، واستعمل أخرى محلها ،
أدخل فيها شخصيات جديدة مثل « البارونة فون بلينتسـ
Edlen von Blinzkopf » وبذلك زاد من تعقيد الموضـ

بشكل يفوق ما كان عليه من قبل ، كذلك صار العرض طويلا جدا اذا كان يستمر لمدة ست ساعات تقريبا . ومن ثم قسمها في النهاية الى قسمين : يتكون الاول منهما من خمسة فصول والثانى من أربعة فصول . وكان هذا التقسيم سيئا بحيث أدى بها الى أوخم العواقب في سنة ١٨٠٩ .

اغانى ومسرحيات

وفى سنة ١٨٠٤ أصـــدر جيته بالاشتراك مع فيلانت ديوانا ، نشر فيه عددا أكبر من الاغانى الجماعية . وظل يأخذ عن الشعراء الفرنسيين ، وقد كان متصلا بهم اتصالا وثيقا منذ شبابه .. ظل يأخذ عنهم دائما مواد جديدة للمسرح . فقد ترجم عن « ديدرو Diderot » في سنة ١٨٠٤ « ابنة أخت رامو Rameau's Neffe » .

وأثر ذلك على شيلر ، الذى حافظ هو الاخر على شهرة مسرح فايمار برواياته الخاصة .

شيلر يختفى

ومن المؤسف حقا أن جيته لم يستطع أن يحتفظ لمدة طويلة بصديقه الذى لا عوض له عنه ، فمع بداية شهر مايو من سنة ١٨٠٥ ، سقط شيلر مريضا اثر برد شديد أصابه . وكان فى ذلك المرض نهاية حياته فى اليـــوم التاسع من مايو . وتأثر جيته لذلك تأثرا عميقا ، بل هزت الوفاة كيانه ، وراح يقول انه قد فقد نصف وجوده .

وكان جيته فى أول الامر يعتزم اتمام رواية شيلر الاخيرة « ديمتريوس Demetrius » التى لم يستطع أن يكملها . ثم فكر بعد ذلك فى اقامة حفل تأبين شعرى كبير ، الا أنه لم

يستطع أن يحقق هذه الفكرة أيضا . ومن ثم وضع جيته مرثية عن « ناقوس شيلر Epilog zu Schillers Glocke » لابينه فى الحفل الذى أقيم فى لاوخشتيت Lauchstädt » فى اليوم العاشر من أغسطس لسنة ١٨٠٥ ، فكان ذلك فى الواقع أحسن تقدير منه لصديقه العظيم .

وقد سببت وفاة شيلر لجيته حزنا شديدا وفراغا لبس من السهل ملأه ، ولم يستطع جيته أن يودع الاحزان قلبه ويحجبها فى صدره ، الا عندما أنكب على العمل المتواصل من جديد ، فعكف على وضع الشعر ، والاهتمام بالفنون الجميلة والعلوم الطبيعية والدراسات الادبية — وذلك بحيوية مذهلة ونشاط يدعو للعجب . وظل عقله يعمل دون انقطاع ، فاتجه الى المسرح والى المؤسسات العلمية فى البلاد ، حيث قام بأجل الخدمات وانفعها بشكل غير عادى .

وفى سنة ١٨٠٥ ، وبمساعدة ماير نشر العمل الرائع فى تاريخ الفن « فنكلمان Winckelmann und sein Jahrhundert وقرنه » الذى يمثل قمة الكلاسيكية . ولكن سرعان ما فاجأته الاحداث السياسية التى ما كان ليهتم بها أدنى اهتمام حتى ذلك الوقت .

وبعد أن عدل «شتلا» ، وأتم القسم الاول من «فاوست» ذهب ثانية للعلاج فى كارلزبات فى سنة ١٨٠٦ .

جيوش نابليون فى فايمار

وعاد جيته الى بلدته فى الرابع من أغسطس أى قبيل الاحداث التى كانت تهدد بالخطر ، ففى خريف ذلك العام بدأت الحرب بين نابليون وبروسيا وعاد فيها كارل أوجوست للقيادة مرة أخرى . وفى ١٤ اكتوبر سنة ١٨٠٦ منى الجيش

البروسى بالهزيمة عند يينا فدخل الفرنسيون فايمار وأشاعوا فيها الخراب بطريقة وحشية . ولكن الدوقة أويزة تدخلت لمنع تخريب المدينة ومقر الدوقية . وواجهت نابليون فى حزم وبشخصية قوية جعلته يحترمها ويقدرها .

وكانت حياة جيته نفسه مهددة اذهاجم الجنودالفرنسيون داره ، ولكن كريستيانه أنقـذته بأن دفعت به الى خارج الحجرة . وفى ١٩ اكتوبر تزوج جيته منها فى الكنيسة . وقد حاول جيته فى هذه الايام العصيبة ، التى كان كل شىء يتهدد فيها بالانهيار ، أن يصـون ويحافظ على كل ما يمكنه . وكذا أوقف نفسه على الدفاع عن الجامعة فى يينا ، وأولى عنايتـه بصفة خاصة لانقاذ « ألمانيا الاوربية » حتى مر الخطر وانحسر عنها بالفعل .

مينا هيرتسليب

وفى خلال اقامته فى يينا فى أثناء الشتاء التالى تعرف الى مينا هرتسليب Minna Herzlieb فى دار فرومان Fromann بائع الكتب . وكانت هذه الفتاة ـ كمايقول الناس ـ الاساس الذىبنى عليه جيته شخصية أوتيليى فى الانساب المختارة . وربما كانت مينا سببا فى وضعه « أغانى يينا Jenaer Sonette » الملتهبة التى كانت بيتينا برنتانو Bettina Brentano ابنةماكس Maxe « الرائعة » تعتقد انه يشير بها اليها . ولكن الفضل فى هذه الغزليات انما يدين به جيته الى الرومانتيكيـة ، حيث كانت له علاقة بهم ترجع الى سنة ١٧٩٥ .

وفى سنة ١٨٠٧ ، كثيرا ما كان جيته يجتمع مع « زكريا فيرنر Zacharias Werner » فى يينـا ، اذ كان زكريا يهتم الغاية بهذا النوع من الشعر الغنائى .

الاحزان

وفى نفس هذه السنة توفيت راعيته العظيمة ، الدوقة انا آماليا . وتوفيت والدته فى سنة ١٨٠٨ ، فبكى موتها بحزن عميق ، وأراد أن يكرمها بأثر شعرى . ولكنه لم يستطع أن يكتب الحروف الاولى منه .

وفى ذلك الوقت ، شغلته للغاية رواية « باندورا Pandora » التى شجعته على اتمامها السيدة فون ليفتسوف v. Levetzow فى كارلزبات . وفضلا عن هذه الرواية وضع قصته الشعرية « يوحنا زيبوس Johanna Sebus » وانتهى منها فى سنة ١٨٠٩ .

الانساب المختارة

وأصدر جيته روايته « Die Wahlverwandtschaften الانساب المختارة » التى اكسبته الكثير من التقدير ، ولكنها أتت اليه بفيض من التأنيب واللوم ايضا اذ أخذ البعض على هذه الرواية انها منافية للاداب . ولقد حاول جيته أن يقدم فيها شخصيات تجتذب بعضها البعض بالقوى الطبيعية ــ تماماكما يحدث فى الكيمياء ، فانالعناصر الكيماوية تجتذب بعضها البعض الاخر وتكافح من أجل اتحادها .

وهكذا نجد فى هذه الرواية أن اداوارد Eduard يحب أوتيليى Ottilie ، وهى امرأة عاطفية حساسة متزوجة من أحد النقباء . ومن هنا تبدأ المسائل فى التعقد ، وتصبح لهما من النتائج ما هو خطير بحق . وفيما عدا اليوميات التى كانت تكتبها اوتيليى والهدف الصوفى الرومانتيكى للقصة ، فان العرض غير عادى فى جاذبيته وسحره ، بل هو عصرى الى حد ما أيضا . ولم يكن ثمة داع للوم الذى وجه جيته اذ

اعتبروه يمجد الفجور والعربدة والفاحشة فى مجرى الاحداث المحزنة التى تضمنتها هذه الرواية .

موشحات وألوان

وفى شهر يناير سنة ١٨١٠ ، وضع جيته مجموعة من الموشحات اللطيفة للمهرجان الكبير الذى أقيم عن « الشعر الرومانتيكى Die romantische Poesie » .

وبعد ذلك نشر « نظرية الالوان Farbenlehre » حيث عارض فيها وجهات نظر نيوتن بأساليب علمية خالصة . ومن ثم دخل فى متاعب مع العلماء أيضا ، واشترك جمع كبير منهم فى هذا الصراع ، وكان البعض منهم فى صفه بينما وقف البعض الاخر ضده .

يكتب للتاريخ وحده

ولم يعد جيته يحس بالسعادة أو يهتم بالتشجيع الذى اعتاد الناس أن يوجهوه الى أعماله ، وشعر هو نفسه بأنه يكتب التاريخ وحده وأن معاصريه لم يعودوا يفهمونه ، ولذلك قرر أن يسجل قصة حياته وتطورها . وراح ينشر ما يكتبه منها فى أجزاء خاصة ظهر أولها فى سنة ١٨١١ ، فى كتابه « Dichtung und Wahrheit : Aus meinem Leben الشعر والحقيقة : من حياتى » .

وتضمن هذا العمل عرضا مفصلا لحياته حتى سنة ١٧٧٥ ، ووقف الشاعر عند هذا الحد ، ولم يتعرض لتجاربه فى فايمار اذ منعه من ذلك الذوق والعقل . ولكنه عاد وسجل هذا كله فى « يومياته Tagebücher » ، و « حولياته Annalen » ،

و « تفصيلات الترجمة Biographische Einzelheiten الشخصية » .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد عالج بالتفصيل بعض الاحداث الهامة مثـــل « الرحلة الايطاليـــة Italienische Reise » ، و « الريف فى فرنسا Kampagne in Frankreich » ، و « حصار مانيتس Die Belagerung von Mainz » .

وكان اهتمامه بحياته الخاصة ، وبتلك الفترة من حياته بصفة خاصة ، التى كان فيها وطنيا خالصا ، وكان اعجـــابه ببدائع الفن القوطى فى شتراسبورج ، واعتباره اياه الفـــن الالمانى الحق .. كان كل هذا يشير الى تعدبل فى وجهـــات نظره الفنية وتوسيعها ــ الامر الذى حدث فى بطء على مـــر الايام .

بواسيريه

وفى هذه الفترة استطاع مؤرخ الفن Sulpitz Boisserée سولبتس بواسيريه أن يؤثر فيه تأثيرا كبيرا بحيث جعل جيته بالتدريج يترك الكلاسيكية التى يتقيد فيها الفرد بوجهة نظر واحدة ، ويتجه كلية الى الرمزية الشكلية التى تتجه وجهـــة أكثر عمومية . ومن هنا استطاع أن يتابع الاتجاهات العالمية فى الفن والادب .

ولقد زار بواسيريه فايمار لاول مرة فى ربيع سنة ١٨١١ ، قبل أن يغادرها جيته عائدا الى بوهيميا . وفى أثناء فترة حرب التحرير ، وقع التغير المشار اليه ، وكان لذلك دلالته وأهميته أيضا .

الرهان

وفى سنة ١٨١٢ ، عاد جيته الى كارلزباد وتبليتس Teplitz للاستشفاء حيث عاملته أحسن معاملة امبراطوريه النمسا التى كانت مريضة آنذاك بصدرها. وطلبت الامبراطورة اليه أن يعالج موضوع عاشقين انفصل كل واحد منهما عن الاخر بسبب الرهان . وكتب جيته فى ذلك كوميدية صغيرة هى روايته الرائعة « الرهان Die Wette » التى عرضها بنجاح أمام كبار الشخصيات .

انكسار نابوليون

وبينما كان جيته يستمتع بالحظوة التى كانت له لدى الجهات العليا ، راح يرنو الى المزيد من الايام الهادئة التى خيمت فى الافق السياسى ، اذ زحف نابليون على روسيا ، وقد أغواه الحظ الباسم وقادته اطماع الفتح والمغامرات . وتقدم نابليون بالفعل الى موسكو فى معارك مهولة اختلطت فيها الثلوج بحمرة الدماء المنهمرة . وكانت جيوش القاهر العظيم قد جاءت من قبل خلال ألمانيا فى طريقها الى روسيا ، كما كان على أمراء تحالف الراين وبروسيا أن يلحقوا بالفاتح الاكبر فى كل مكان . وأصبحت صيحات الحرب مدوية . وعلم جيته من البلاط — وهو فى طريق عودته الى فايمار — بنبأ احتلال سمولنسك Smolensk الا أن أخبار النصر لم تدم ، فسرعان ما جاءت أنباء حريق موسكو وانكسار الجيش الجبار . وفى ديسمبر سنة ١٨١٢ ولى نابليون نفسه الادبار الى فايمار واهتم فى ذلك الوقت بالسؤال عن جيته .

مسرح الحرب

وفى الربيع التالى دوت فى ألمانيا مرة أخرى قرقعة الاسلحة

عندما قامت الامة تصد المغيرين عن البلاد ، ولكن القــوات المهاجمة احتلت فايمار فى ١٢ ابريل .

وتأثر جيته بفقدانه صديقه فيلانت أشد التأثير ، وشعر بالحزن والآلام من جراء تدهور الامور . وهنا أصرت عائلتــه على أن يسافر فى نفس الشهر للترويح عن نفســه فى غابات بوهيميا ، فذهب بالفعل الى ساكسونيا . وكان لديه احساس داخلى ينذره بقرب وقوع الشر والسوء ، ومن ثم حال دون انخراط ابنه الوحيد فى سلك المتطوعين .

وفى الصيف كانت ألمانيا المسرح الرئيسى للحرب . وفى تلك الأيام اهتزت امبراطوريات وسقطت كيانات وتحطمت عروش كانت قائمة منذ سنين تختلف فى طولها وعددها . ولكن جيته وجد لنفسه ملجأ فى الشعر الشرقى المرح ، فأحاط نفســه بحوائل سميكة تقيه ذلك الفيضان المهلك . وكان الفضل فى ذلك يرجــــع للمستشرق المرمـوق Hammer-Purgstall هامربور بورجشتال من جراتس Gratz ، الذى أوحى لجيته بهذه الفكرة . وكان هذا المستشرق ينشر منذ سنة ١٨٠٩ صحيفة دورية عن الشرق يسميها « مستودع كنوز المشرق Fundgruben des Orients » .

ديوان حافظ الشيرازى

ونشر جيته فى سنة ١٨١٢ « ديوان محمد شمس الدين حافظ Diwan Mohammed Schemseddin Hafis» . وكانت الظروف التى أحاطت بالشاعرين متشابهة ، فقد كان حكيم شيراز ينشد أشعاره ومن حوله ارهاب تيمورلنك ، بينمـا أمسك جيته بقيثارته فى أثناء حرب التحرير . وشغلت هذه الدراسات وقت جيته فى بوهيميا الى حد كبير ، حيث كتب القصتين الشعريتين « ايكارت المخلص Der Getreue Eckart » و « الجرس المتجول Die Wandelnde Glocke » .

وفى شهر أغسطس التالى ، سافر جيته الى دريزدن بعد اعلان الهدنة ووقف العمليات الحربية بين الطرفين المتحاربين ؛ الا أن الحرب سرعان ماانشبت ثانية واشتركت فيها النمسا فابعدته عن البلاد . وذهب جيته الى غابة تورينجن حيث وضع أغنيته « عند المرور Im Vorbeigehen » . وبعد موقعة لايبتسيج هربت فلول الجيش الفرنسى المنهزم تجاه الراين وراحت الجيوش المتحالفة تقتفى أثرهم ، فاحتل الجيش النمساوى الذى كان يقوده الجنرال بوبنا Bubna فايمار .

واعتقد جيته عندئذ أنه أمن متاعب الحرب التالية ، فراح يشغل نفسه بالشعراء العرب والفرس ، الذين أغروه على وضع مجموعة جديدة من الاشعار .

الى الراين

ومع بداية سنة ١٨١٤ الملطخة بالدماء ، كانت الحرب على أشدها ، الا أن جيته سرعان ما تنفس الصعداء ، واستنشق هواء الحرية . وراح يضع الخطط الجديدة أيضا ، ثم بدأ بالفعل فى تنفيذ احداها فى الصيف . وفى هذه الفترة ، طلب اليه بواسيريه ان يزور كنوز الفن فى بلاد الراين ، ووجد هذا العرض منه قبولا على الفور .

دقات الساعة

وبدأ جيته فى ٢٥ يونيو رحلته من فايمار بقصد زيارة هذه الروائع الفنية ، فوصل فرانكفورت فى٢٨ يوليو . وهناك استسلم للذكريات القديمة ، وزار معارفه القدامى بالرغم من شدة الحرارة . وعندما مر ببيت أبيه ، سمع دقة ساعة الصالة التى كان يعرفها تماما . فأحالت كثيرا من الصور التى تقبع هادئة فى نفسه عن الايام الخوالى الى صور حية .

وذهب بعد ذلك الى فيزبادن للاستشفاء . وفى الطريق الى هناك ، تمتع برؤية الاراضى الزراعية الشاسعة والفلاحون يجنون منها محاصيلها الوفيرة . ومثلما حث العملاق انتيوس Antaeus التى تقول الاساطير انه يستعيد قوته من جديد بمجرد اقترابه من الارض التى ولد عليها حتى انه أحس ثانية « بنسيم الشباب ونفح الصيف » ، وانبعثت من صدره المنسرح الاغانى واحدة بعد أخرى ، والى جانب ذلك وضع الكثير من أشعار الحكمة وبعض مقطوعات الهجاء التى أملاها عليه الموقف .

وفى وسط أغسطس ذهب جيته متحمسا « للتلال الممتدة على الراين ، والاقاليم المباركة » . ومتع عينيه بروائع الطبيعة فى اقليم الراين ، كما تذوق خمر « آيلفر Eilfer » وتغنى بها . وكانت سنة ١٨١١ سنة توفر فيها محصول العنب . وفى ١٦ اغسطس عبر جيته الراين وارتقى الجبل الى كنيسة روخوس Rochus Kapelle قرب بنجن ، وكانت هذه الكنيسة قد أعيد تشييدها لتو بعد تخريب الفرنسيين لها ، ورأى جيته كتل الحجيج الدينيين اليها الذين جاءوا للاحتفال بالقديس ، وقد زاد عددهم على عشرة آلاف شخص . وأثر ذلك فى جيته ، فوضع وصفا لهذا الاحتفال مفعما بالمشاعر الحارة . ولما عاد الى فيزبادن ، تسلم دعوة من عائلة برنتانو لزيارتهم فى عاصمة بلدهم فى فينكل Winkel على الراين . وكان ذلك فى يوم عيد ميلاده الذى تلقى فيه أيضا وفرة من التهانى . وفى أول شهر سبتمبر من سنة ١٨١٤ سافر الى فينكل وأمضى أيام خريف لطيفة تماما فى ذلك المجتمع الريفى الجميل ، حيث باشر القيام بعده نزهات خلوية صغيرة .

أنتونيه فون برنتانو

وكانت المزرعة الواقعة قرب يوهانزبرج من ممتلكات

الحلف والنـــائب فرانتس برنتـــانو Franz Brentano من فرانكفورت ، وهو ابن ب. ا. برنتانو من زواجه الاولى وأخ غير شقيق لبينينا وكايمنز Clemens برنتانو . ولقدتزوج فرانتس برنتـــانو من انتونيـــه Antonio v. Birkenstock فون بركنشتوك من فيينا ، وهى سيدة جميلة بارعة الذكاء ، كان بيتهوفن Beethoven من أقـــرب أصـــدقاء والديها . ونشير خطاباتها لجيته عن مدى الصداقة القوية التى ربطت بينهما وعن مدى اعجابها به ، الا أن نظرتها الى الماضى الجميل راحت تسود فى أيام الشيخوخة ، اذ كان الماضى قدبلغ بحياتها الذروة اثر علاقتها مع جيته . وقد توفيت أنطونيه فى ســنة ١٨٦٩ . وأعقبت اقامة جيته فى منطقة الراين بزيارة ثانيـــة قام بها فى فرانكفورت لمجموعات الفن الفريدة بناء على نصيحة بواسيريه . . وكذلك شارك جيته فى المجتمع وتعرف الى الناس جددمنهم المستشار الخاص ى . ى . فون J. J. v Willemer ڤيلمير الذى أصبحت له أهمية خاصة عند جيته .

كنوز ألمانيا الفنية

وفى ٢٤ ســبتمبر ذهب الى هايدلبرج ليرى مجمــوعة زولبينس وملشيور Melchior الفنية الضخمة . وهى كلها صور تنتمى الى المدرسة الهولندية بصفة خاصة . وتعلق جيته بها كثيرا اذ انها جعلته يحس بقيمـــة الاعمال الفنيــــة المسبحية . وبعد ذلك زار جيته تحف مانهايم ودارمشتات وأوفنباخ وهاناو Hanau ، التى أكدت له صحة رأيه وسلامة اتجاهه فى أن ألمانيا تضم كنوزا فنيه كثيرة رائعـــة . وعاد فى نهاية اكتوبر الى فايمار ثانية ، وفى جعبته مجموعة تجاربه الواسعة .

يقظة ابيمندس

وفى أثناء هـــذه الفترة سقط نابليون ، فطلب منـــه ايفلانت Iffland ان يكتب الاشعار اللازمة لمهرجان يقام فى برلين احتفالا بتحـــرير ألمانيا من الحكم الاجنبى ، فوضع جيتـــه « يقظة ابيمندس Des Epimenides Erwachen » حيث عالج اليقظة القومية الالمانية بطريقة رمزية ، وأوضـــح دوره فى هذا التحول غير المتوقع للامور بأسلوب فيه شىء من التواضع ، فقال :

"Das Herz emfindet längst entwohntes Glück,
Und mir erscheint, was mich bisher gemieden,
Ganz ohne Kampf, der reine Seelenfrieden."

أى :

« القلب يشعر طويلا بأنه قد حيل بينه وبين الحظ
ويبدو لى ما جنبنى اياه حتى الان ،
تماما بلا مقاومة ، ليس الا السلام النفسى الخالص » .

ولما كان جيته قد اختار شخصية أسطورية اغريقية قديمة ليرمز بها الى ألمانيا بغية أن يكون عاما فى حدبثه ، ولا يسبب مضايقة لشخص مهما كان كنهه ، فقد ضاع الاثر المطلوب من هذا العمل الذى عرض فى برلين فى اليوم الثلاثين من مارس سنة ١٨١٥ بالرغم من اللغة الممتازة التى كتب بها والمجازات والاستعارات الرائعة التى وردت فيه . وبدلا من أن يعجبوا بما كتبه جيته ، فقد خرج البعض ليقول ان جيته الذى كان معجبا بنابليون لم يكن يضعها بقلبه ، ولذلك فانه كتب « هراء ضعيفا » حتى لا يظهر فيها آراءه الحقيقية .

وفى سنة ١٨١٣ تعرض جيته مرة أخرى للوم الناس ، بسبب مسلكه الذى بدا لهم غير قومى ، بل قامت من حوله مجموعة من الاشاعات والاتهامات بقصد اثارة الشبهات حول وطنيته .

ولكن هل كان اعجاب جيته بعبقرية نابليون يحول حقا دون احساساته الالمانية ؟ ! وهل كان انصرافه عن وضع الاناشيد العسكرية ناجما عن عدم شعوره بالقومية ؟ ! هذا أمر مدار شك !

وعلاوة على ذلك ، فان نابليون فى نفس ذلك الوقت الذى كانوا يحتفلون فيه فى برلين بأفول سيطرته كان قد غادر البه Elba وظهر فى فرنسا مرة أخر .

الى الراين والماين

وفى أوائل ربيع سنة ١٨١٥ يمم جيته وجهه شطر بلاد الراين والماين ليكمل أبحاثه هناك ويتعمق فيها . وكان عليه أن يقرر بأى من كنوز الراين الفنية يبدأ هذه الدراسات .

وفى ٢٤ مايو ذهب من فايمار الى فرانكفورت وفيزبادن ، وراح يجتلى محاسن الطبيعة . وفى فيزبادن ، اجتمع بثلة كبيرة من الاصحاب ، وجد معها شيئا من التسلية والمباهج . وقابل هناك الدوق كارل ، كما التقى بأصدقائه من فرانكفورت . وعندما كان فى الراين فى ١٩ يوليو ، حضر حفل تسليم يوهانزبرج Johannisberg الى النمسا . وذهب فى ٢٥ يوليو مع البارونة فون شتاين الى ايرنبرايتنشتاين Ehrebreitenstein وكيلن Köln حيث اهتم بصفة خاصة بمشاهدة الكاتدرائية غير الكاملة فى ٢٦ يوليو . ومن كيلن اتجه الى بون Bonn وكوبلنتس Koblenz حيث تعرف الى يوسف جيريس

Josef Görres . وفى ذلك الوقت ، كان جيته مشغولا بصفة خاصة بفكرة شتاين لانشاء جمعية لتاريخ الالمانى .

وبعد عودته من فيزبادن ، ظهر بواسيريه الذى تابع معه فيمابعد البحث عن الكنوز الفنية فى ماينتس وفرانكفورت .

زوجة ميار الجميلة

واحتفل جيته بعيد ميلاده هذه المرة عند المستشار الخاص ى . ى . فون فيليمير فى جيربر ميله Gerbermühle قرب أوبررات Oberrad وكان المستشار قد تزوج فى سنة ١٨١٤ من ماريانه يونج Marianne Jung، وهى سيدة جميلة جذابة درست فى النمسا ، وأصبحت الان روح البيت ، وعرفت كيف تجعل من الحياة فى المزرعة حياة كألطف ما تكون الحياة .

وفاجأت « زوجة ميار الجميلة » صديقها جيته أيضا باحتفال بهيج ، كانت فى أثنائه تضع ــ وفقا لما جاء فى شعره الشرقى ــ عمامة أطلت من بينها جدائل شعرها البنى . وهكذا وجد حاتم زليخته ، ووجد جيته مادة طيبة لشعره الغنائى الجديد . ووجه اليها فى هذه الاونة أغانيه ، وسرعان ما جلبت هذه الصداقة لآلىء شعرية الى الشاطىء .

ولم تكن ماريانا مجرد معجبة تفهم أشعاره ، بل كانت أيضا ذات موهبة شعرية ملحوظة حتى أنها كانت تستطيع أن ترد على الاشعار بمثلها ، فكانت بذلك أول امرأة من نوعها يلتقى بها جيته . ولقد ضم جيته بعض أشعاره الى مجموعته « الديوان » بعد أن أضاف اليها بعض التعديلات الطفيفة ، ومن أشعارها المعدلة تلك الاغنية الشهيرة « الى الريح الغربية An den Westwind » :

"Ach, um deine feuchten Schwingen,
West, wie sehr ich dich beneide!
Denn du Kannst ihm Kunde bringen,
Was ich in der Trennung leide."

أى :

« آه لاجنحتك المبللة
يا ريح الغرب ، انى لاحسدك !
فانك تستطيع أن تنبئه ،
بما أقاسيه من الفراق » .

وكثيرا ما اتصل جيته فى صيف ١٨١٥ وخريفها بهذه المرأة العجيبة وآلها ، وخاصة ابنة زوجها الانسة روزيت شتيدل Rosette Städel التى كانت صديقة لانطونيه برنتانو وكان ذلك فى فرانكفورت ، ثم فى هايدلبرج بعد ذلك . وفى هذه المرة اضطر الى أن يبتعد ثانية عن المناطق الجميلة الغريبة من موطنه الاصلى ، والتى قابل على أرضها كثيرا من الاشخاص المحبوبين . وفى ١١ اكتوبر ، وصل الى فايمار ثانية فبدت له فى هذه الفترة مصدرا للضيق والضجر .

الفن والاثار .. وأغانى الحب

وأثمر اهتمامه بالموضوعات الفنية فى الراين صحيفة « الفن والآثار Kunst und Altertum » (١٨١٦) التى استمر فى اصدارها حتى آخر حياته . وكانت سنتا ١٨١٤ ، ١٨١٥ تمثلان التناقض البديع مع أيام شبابه ، وخاصة ما قضاه منها فيما بين سنتى ١٧٧٠ — ١٧٧٢ . واسترد جيته ثانية نشاطه وحيويته ، واهتم بأغانى الحب وتحول مرة أخرى الى الفن الالمانى القديم ولكن دون أن يضع جانبا عامل القدم . وعلاوة على ذلك فكر فى زيارة توثيق صلات كل من الاقليمين بالفن الجرمانى الكلاسيكى والفن العالمى .

أعيش لأبكي فقدانها

وفكر فى رحلة جديدة يقوم بها أوحده فى سنة ١٨١٦ الى الراين ، ولكنها لم تتم اذ بدأت ظروف حياته تسوء . وظل النهوض بساكسونيا — فايمار من اكبر ما يبعث فى نفسه اللذة والسرور . ولكن أصابته ضربة شديدة سببت له حزنا عميقا ، اذ أنه عاد فى ٢٩مايو من يينا ، فوجد زوجته مريضة. وأصيب هو نفسه فى ٤ يونيو بقشعريرة اضطرته الى ملازمة الفراش .

وعند ظهر اليوم السادس من يونيو ، وبينما كانت فايمار كأنها فى أبهى حللها وورنقها تستقبل الامير برنهارت Bernhard وعروسه الجديدة ، توفيت كريستيانه وهى تعانى آلاما حادة مريعة رهيبة . وحزن جيته لوفاتها حزنا شديدا ، وأحس بالفراغ والهدوء القاتل يترعرع فى داخل نفسه وخارجها . ومن ثم كتب هذه الاشعار التى تشير الى كم هو منهار :

"Du versuchst, O sonne, vergebens,
Durch die düstren Wolken zu scheinen !
Der ganze Gewinn meines Lebens
Ist, ihren Verlust zu beweinen."

أى :

« عبثا تحاولين ، أيتها الشمس
أن تضيئى خلال السحب المعتمة !
فكل ما يغرينى بالحياة من بعدها
أنى أبكى فقدانها »

أحزان وارهاق وشيخوخة

وكى لا تستبد بجيته الاحزان ، انكب على أعماله بنشاط ، ولكن سرعان ما ظهرت نتائج هذا الارهاق الجسمانى الخطر . ومن ثم اضطر الى القيام برحالة يستجم فيها ، ويروح بها عن نفسه ، وقرر أن يذهب الى هايدلبرج وبادن Baden . ورحل بالفعل مع ماير فى ٢٠ يوليو ، ولكنه تخلى عن فكرة الاستمرار فى رحلته هذه قبل الوصول الى غابات مينشين Münchenholzen حيث انقلبت عربته وجرح ماير ، ومن ثم ذرر العودة ليتجه بدلا من ذلك الى تينشتيت Tennstädt . ولم يكتب له أن يرى ثانية أصدقاءه ومعارفه الذين يقيمون فى الراين والماين ، اذ لم يقم برحلات طويلة أخرى فيما عدا تلك التى تردد فيهـا على غابة تورينجن وبوهيميا وبعض منابع المياه .

وكان لكبر السن حقه الذى راح يأخذه من الشاعر الكبير ، فسرعان ماذهبت عنه نشوة المرح التى كان يتمتع بهافى السنوات الاخيرة . وهـذا ما شعرت به أيضا لوته كستنر Lotte Kestner عندما زارته فى آخر سبتمبر ١٨١٦ حيث كانت أختها متزوجة ومقيمة فى فايمار . فقد بدا لها بيت جيته موحشا . ولكن ما أن تزوج ابنه أوجوست فى سنة ١٨١٧ من أوتيليى فون بوجفيش Ottilie v. Pogwisch ، حتى أخذت زوجة الابن على عاتقها واجبات سيدة المنزل ، وراحت تضفى على مغرب حياة جيته الشيخ ألوانا من الجمال الرائع .

بعيدا عن المسرح

وانسحب جيته فى ذلك الوقت من ادارة المسرح محتجا على السماح للممثل كارستن Karsten من فيينا ــ على

غير ارادة جيته وخلافا لنظم المسرح وتقاليده ـ بالظهور على خشبة المسرح فى أحد مشاهد المسرحية ، وبصحبته كلبة مدربة تقتفى آثار مجرم .

وشعر جيته بالضيق لذلك فذهب الى يينا ، حيث بقى فيها غالبية الفترة ما بين ٢١ مارس و ٧ أغسطس ١٨١٧ . واحتفل الشاعر بعيد ميلاده فى هدوء شامل عند باول انتسله Paulinzelle الصغيرة ، وأحس بفيض السعادة تغمره عندما تلقى تهانى أصدقاءه فى فرانكفورت .

أغانى المهد

وعلى أية حال ، فقد بدأت السنة التالية بداية طيبة الى حد ما . وفى ٩ ابريل ١٨١٨ ، استطاع أن يغنى لحفيده الاول « فالتر Walther » أغنية المهد Wiegenlied . وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو ، جاء الى هذه الدنيا الامير كارل الكزندر Karl Alexander الذى تدين له فايمار بروعتها وجلالها والذى وضع تحت رعايته الابحاث الجديدة عن جيته . وفى المهرجان الذى أقيم فى ١٨ ديسمبر ١٨١٨ بحضور الامبراطورة الروسية أرملة الامبراطور الروسى الراحل ، أشار جيته الى هذه الحادثة ، تاركا للفن والموسيقى مجال التعبير :

"Nun aber an die Wiege ! diesen Sprössling
Verehrend, der sich schnell entwickelnd zeigt
Und bald herauf, als wohlgewachsner Schössling,
Der Welt zur Freude hoch und höher steigt !
Sein erster Blick begegnet unserm Kreise..."

أى :

« الآن هيابنا الى المهد نكرم هذا المولود

الذى نراه سريع النماء ، عاجل النشأة
كنبته حسنة تزداد ارتفاعا
وتزيد بهجة العالم ،
ويلتقى فى نظراته الاولى بنا » .

الديوان الغربى الشرقى

وفى الصيف ، ذهب جيته الى كارلزبات لاستعادة صحته المعتلة المنهكة . وسرعان ما استرد كامل قوته ، وعاد للحياة فى بطء ، واندمج ثانية فى الحياة الاجتماعية للشعر والعلوم الطبيعية ، وراح يعد للطبع المجموعة الاخيرة من مجموعة أشعاره الغنائية الضخمة التى ظهرت فى ١٨١٩ تحت عنوان « الديوان الغربى ــ الشرقى West — östlicher Diwan » .

وينقسم هذا العمل الى ١٢ كتابا تضم حوالى ٣٠٠ قصيدة ، تعرض تجاربه الخاصة والمشاعر الالمانية فى ثوب شرقى . وأراد جيته بكلمة « ديوان » نفس الكلمة التى نقولها نحن « لمجموعة » من القصائد او الاغانى العربية ، وقصد بها أن يربط العالمين كليهما بالاخر ارتباطا روحيا . وهذا مانراه واضحا أيضا فى العنوان الذى اختاره لديوانه ، ولكننا نلاحظ أيضا ابتداءه بكلمة « الغربى » ، فبالرغم من العلائم الشرقية القليلة التى كانت من أثر سلطان حافظ عليه ، والتى جاءت واضحة حتى فى الشكل الخارجى ، اذ جمع فى ديوانه المقدسات القديمة مع المسائل غير الشرقية ، الا أنه لا أثر للاوزان الشعرية الفارسية البتة فى هذا الديوان . بل على العكس تماما ، فان «ديوان » جيته ليس الا عملا ألمانيا أصيلا مليئا بالاصالة الخالصة ، اللهم الا فى القليل من الاشعار المتصنعة فحسب .

وهنا يبدو أسلوب جيته واضحا فى كبره حيث أن مرحه وخياله الاصلى صار أميــل الى الاحتجاب . وفى الحقيقة أن « ديوانه » الذى قوبل أولا بالحيرة والدهشة ، انما كان يحمل فى ذاته الشخصية العالمية للشاعر . وضرب جيته بذلك مثلا لمن جاء بعده ممن مزجوا بين الشرق والغــرب ، أمثال ريكرت Rückert وبلاتين Platen وبودنشتيت Bodenstedt وشاك Schack .

ولقد أضاف جيته للطبعات الاخيرة التى ظهرت فى سنة ١٨٢٧ وفى سنة ١٨٣٧ حوالى سبعين قصيدة أخرى ، كان يضعها فى المناسبات التى استجدت فى هذه الاثناء .

عيد ميلاده السبعين

وفى نهاية اغسطس سنة ١٨١٩ ، ذهب الشاعر ثانية الى كارلزبات للاستشفاء حيث أنه كان قد أفاد دنفاية من زيارته السابقة لينابيعها فى العام الماضى . وهناك ، احتفــل جيتــه احتفالا هادئا بعيد ميلاده السبعين ، بينما كانت مدينة والده تقيم احتفالا ضخما بهــــذه المناسبة مع انه كان قد انفصل قبل ذلك بسنتين عن مجتمع مواطنيه . وراح جيته يتأمــل فى حياته الماضية ويستعيد ذكرياتهـــا ، فى الوقت الذى كان يستعد فيه للطبعة الجديدة من أعماله فى عشرين مجلدا التى قصد بها ان تجدد ذكراه فى اذهان الشعب الالمانى ، وتفاجىء أصدقاءه وتدهشهم ، وذلك بالرغم من انه لم يستطع ان يتم كتاباته عن « ترجمته الشخصية » ، ولا أن يتم قصـــــته « فاوست » .

الحقبة الرابعة

١٨٢٠ — ١٨٣٢



ترك جيته فى الشعر أيضا ، كما نرى فى الفنون الجميلة ، وجهة النظر الكلاسيكية ذات الوجه الواحد كى يتجـــه نحو العالمية . وكان العمل الرئيسى فى الجزء الاخير من حياته أن يتحول بطابعه الخاص القديم وبشعره ، ويجعل منه خميرة لادب عالمى باستعمال الانتاج الاجنبى الكبير الاختلاف الذى فاضت به قرائح الـكتاب الاجانب ، وبذلك خلق جيتـــه أدبا عالميا . صار للالمان فيه دور كبير الاهمية .

وكان هو نفسه واثقا كل الثقة من أنه قد قدم بالفعـــل جانبا رئيسيا فى هذه الناحية ، وساهم فى هذا البناء الروحى . ولكنه حذر أيضا من الأعتماد كلية على العناصر الاجنبية دون تمييز ، اذ أنها قد تتسبب فحسب فى تدهور الادب ، كما أنه حذر أيضا من البحث بحثا سطحيا عن موضوعات غريبة — الامر الذى يبدو جديرا بالتقـــدير كل التقدير نظـــرا لاتجاه الالمان فى ذلك الوقت الى الفكر الاجنبى .

الرومانتيكية وهن

وكره جيته فى هذه الحقبة أيضا كل المبهمات والهيوليات ، مما ادى الى أن يزداد غلظة فى معارضته للرومانتيكيين ، الذين بدأوا يفقـــدون خطوة الاســـاس الحقيقى الذى قامت عليه اتجاهاتهم ، ومن ثم اتخذوا لانفســهم ميولا صـــــوفية خالصة .

وعلى ذلك ، اعتبر شاعرنا « الطبيعيات » هى الاصوب ، وأعلن أن « الكلاسيكية وحدها هى الاصح ، أما الرومانتيكية فوهن » .

وفى قصيدة « عند الشراء Auf den Kauf » أنكر جيته الميول الجديدة التى لم تكن تهدف الا الى اختلاط الارواح وعدم القدرة على خلق أية عظمة . وأدى ذلك الى اثارة غضب الاخرين عليه ، ومن ذلك أن الرومانتيكيين قالوا قولتهم التى سرت بسرعة بين الجميع ، وهى أن « جيته قد شاخ » أما هو فقد رأى أن يغض النظر عنهم !

الكبير يخسر دائما

وزادت الوحدة من احكام تضييق الحصار من حوله ، ذلك انه كان قد فقد — على مر الزمن — كل أصدقاءه الكبار ممن كانوا يفهمونه ، فضلا عن أنه لم يسع فى ذلك الوقت الى ايجاد علاقات طيبة مع معظم معاصريه الصغار .

ولكن هذا لا ينفى أنه استقبل فى سنته الاخيرة كثيرا من الزوار ، وأنه قد انهالت عليه آيات التقدير السامى والتكريم العالى من كل أنحاء العالم ، الا أن ذلك كله لم يكن ليعوضه عن فقدان أصدقائه الذين يفهمونه ، بل كاد أن يصبح هو المعطى على الدوام ، بينما لم يتلق شيئا لذاته اللهم الا فيما ندر .

ويقول جيته فى أمثاله المنثورة Prosasprüchen : « من أعظم قوانين البشر أن الكبير يخسر ، اذ أنه لا يكون بعد ذلك موضع حكم أنداده » . واذا كان جيته قد كبر على عصره فى هــذه الناحية ، الا انه لم يكن الرجل الذى دفع الاتاوة « للزمن » وأقلع بشراعه قبــل المحدثين ، وهو يشعر كما لو أنه أقام

الصـــــــــورة التى ولدها « فى عين شيفر In Chifers Quell »
الذى اجتذب اليه على الدوام دوائر اكبر وأكبر .

ومن الناحية الجثمانية ، استطاع جيته منذ سنة ١٨١٩
أن يسيطر على جميع قواه ، وهو الامر الذى تثبته الصـور
التى سجلها له معاصروه . ولا عجب فى ذلك ، فقد انعشته
الرحلات التى كان يقوم بها سنويا الى أماكن المياه فى بوهيميا ،
ونجحت بالفعل فى تجديد نشاطه .

جولة فى الربيع

وفى سنة ١٨٢٠ ، خـرج فى اليوم الثالث والعشرين من
أبريل من يينا قاصدا كارلزبات . وفى أثناء الطريق الذى سلكه
اليها عبر فونزيدل Wunsiedel ، شغل نفسه بملاحظة الظروف
الجيولوجية ودراسة كيفية تكون السحب .

وفى اليوم السادس والعشرين من الشهر وصل الى ايجر
ولما بعث بجـــواز سفره الى الشرطـــة ، حمـــله اليـــه
جرينر Grüner مستشـــــار البلدية الـذى كان من المهتمين
بعلم الجمال والبحـــوث العلمية . وهكذا نشأت بين الرجلين
علاقات من الود والصداقة عادت على أبحاث جيته فى العلوم
الطبيعية بنفع كبير فى الوقت الذى افادت جرينر ذاته فى مجال
الفنون الشعبية (الفولكلور) .

وسمع جيته من الاستاذ ديتريش Dietrich ومن ناظر
مكتب البريد فى آش Asch عن مكان جديد لينابيع ميـــاه
تقع الى الجنوب الشرقى من ايجر ، وعرف ان هذا المكان قد
هجره الناس بسبب زحف المستنقعات عليه . وهكذا شـعر
جيته برغبة فى رؤية هذا المكان ، فاتجه فى السابع والعشرين

من ابريل الى مارينبات Marienbad . وأخذ يرقب بحبور ما حدث من التقدم فى هذا العمل الثقافى ، وراح يقارنه بالتعمير الامريكى للغابات المتخلفة . وفى الواقع ان خلق مارينبات انما كان يرتبط بالنشاط الحيوى للاسقف Abtes Reitenberger رايتنبرجر (من تبل Tepl) الذى جمع هناك بين زراعة الارض والعقيدة ، وتعهد النبات والبناء الروحى والمادى على السواء .

وتحول جيته بعد ذلك الى كارلزبات ، حيث اجتمعت حوله ثانية مجموعة ضخمة ، وتقبلت روحه دوافع ومشاعر جديدة . وشغل الشاعر نفسه — فى ذلك الوقت — بدراسة طبيعة اقليم ايجر بصفة أساسية . ولقد أدرك جيته أن التربة فيها انما ترجع فى تكونها الى اعماق المحيط ، ولكنه ظل امام لغز محير غير قابل للحل ، ألا وهو تلك المركبات البركانية الموجودة فيها — الامر الذى جعله يهتم بهذا الموضوع ويقوم بدراسته دراسة تفصيلية واهتم بفحص كامربيل Kammerbühl قرب ايجر . ومن ثم اشترك جيته بقسط كبير فى الكشف العلمى عن هذا الاقليم .

واستطاع الشاعر الالمانى الكبير أن يؤثر كذلك فى الكونت شتيرنبرج Graf Sternberg الذى كان قد تعرف به قبلا فى بوهيميا Böhmen . واهتم جيته اهتماما زائدا بدراسة شعب المنطقة والعادات الالمانية القديمة فيها ، حتى أنه حضر مرة حفل زواج قروى . وألف أغنية لاحتفال القديس يوحان فون بوموك Heiliger Johannes von Pomuk الذى كان يكرمه الناس ويعتبرونه راعى البلدة . وفى برلين قام تسلتر Zelter بوضع موسيقى هذه الاغنية .

كتب وأصدقاء

وجـــدير بنا أن نلاحظ كيف انتعش جيتـــه ثانية فى بوهيميا ، وكيف استمتع بصحبة الاصدقاء ، تاركا حيـــاة العــزلة والتفرد التى كان يحياها فى فايمار . ولـكنه لم يضع وقته كلية فى الاجتماع بصحبه ، بل اشــــتغل فى الوقت ذاته بوضع بعض الاضافات للديوان ، وببعض الكتابات عن حياته ، فضلا عن بعض الحكايات القصيرة التى ضمها الى « سـنى تجوال فيلهلم مايستر » التى صـــدرت للمرة الاولى فى ســنة ١٨٢١ .

وبالاضـافة الى ذلك ، قدم جيته مقطوعته الشعرية « نغم الرحال Reisesegen » التى عاد فصاغها وزاد من حجمها نسبيا فيما بعـد . وضع الشـــاعر أيضا « Zahme Xenien اكزينين انزديع » ، وجمع اجزاءها فيما بعد واعدها للنشر ، فظهرت للناس فيمابين سنتى ١٨٢١ ، ١٨٢٣ .

وكتب الشاعر علاوة على ذلك الثلاثية الهندية « باريا Paria » التى تقـــــوم فى أساسها على الاعتقـــاد فى تحقـــير الباريا ، اذ أن الله ــ باعتباره خالق العالم وحافظه ــ لن يرد عنه أحدا ، بل سوف يجد الخلق بابا مفتوحا اليه دائما .

وفى ذلك الوقت ، عاد جيتـــه مـــرة أخرى الى كالديرون Calderon الذى كان قد أراد من قبــل ــ وفى ســنة ١٨٠٧ على وجه التحـــديد ــ أن يقلده فى مأساة مسرحية ، الا انها بقيت غير كاملة . وعكف على قراءة القصص التى كتبها هذا المؤلف الرومانتيكى الاسبانى ، وذلك فى أثناء اقامته ببوهيميا فى صيف سنة ١٨٢١ .

صناديق ملأى بالصخور

وفي تلك السنة ، ذهب جيته للمرة الاولى للاستشفاء في مارينبات حتى يلقى نظرة على المادة العلمية الجديدة . واشتغل الى جانب ذلك بعلم التعدين ، وراح يفحص أنواعا مختلفة من الصخور ويسجل أوصافها ، وذلك في الفترة ما بين ٢٩ يوليو و ٢٤ أغسطس . وحمل الشاعر العلامة معه عند عودته من بوهيميا الى فايمار عدة صناديق ، كانت كلها ملأى بعينات من هذه الصخور .

آماليا فون ليفيتسوف

وفي مارينبات ، التقى ايضا بعائلة البارون فون بريزيجكه Freiherrn von Brösigke التي كانت قد هاجرت من ساكسونيا Sachsen .

وكان جيته قد تعرف بالفعل قبل ذلك بسنوات بآماليا فون ليفيتسوف Amalia von Levetzow الابنة الوحيدة لبريزيجكه ، اذ كانت من المعجبين بشعره . هذا فضلا عن كونها سيدة مجتمع لها خبرتها بطرق الحياة ومسالك العالم .

وكانت آماليا قد وصلت الى مارينبات في ٣٠ يوليو ، تصحبها ابنتها الكبرى أولريكه Ulrike von Levetzow فون ليفيتسوف التي لم تتعد السابعة عشرة من عمرها في ذلك الوقت . وكان يرافقهما أيضا والدي آماليا . وأمضى الجميع فصل الصيف في مارينبات .

ولما كان جيته يقطن نفس ذلك المكان ، فقد تم التقارب فيما بينهم تلقائيا ، كذلك ساعدت النزهات العادية وليالي

المجتمع على أن تجمعهم فى محيط أوسع . ولقد حرص جيته على ألا يغيب عن هذه السهرات قط .

أوريكه العزيزة

وكانت أولريكه فى أثناء الشتاء السابق ، تدرس مع شقيقتيها اللتين تصغرانها فى مؤسسة تربوية خاصة ، حتى اذا ما أقبل الصيف قدمت الى هذا المكان لتستمتع بقضاء اجازتها الصيفية فحسب . واستطاعت اولريكه أن تفتن المحيطين بها ، بما تميزت به من طباع مرحة لطيفة . وكان جيته ينادى اولريكه « بنيته العزيزة Liebes Töchterchen» وداوم على ان يسليها بالتحدث اليها عن النباتات والمعادن . وقبل رحيله عن مارينبات أهدى اليها كتابه «سنى التجوال» تخليدا « لذكرى صداقة أغسطس ١٨٢١ » .

وفى الربيع التالى ، بكرت السيدة فون بريزيجكه بدعوة الشاعر اليها ، وقدمت له بيتها ليسكن فيه . وهذا البيت ذاته هو الذى حول فيما بعد الى Klebelsbergsches Hotel فندق كليبزبرج واتخذ جيته لنفسه الغرفة ذات الشرفة فيه .

وعندما وصلت السيدة فون ليفتسوف ومعها بناتها ، توطدت العلاقات فيما بينهم عن ذى قبل ، واتصفت بصراحة ومودة فاقت ما كانت عليه فى السنة السابقة . وكثيرا ما كانت الاسرة تجتمع على الشرفة وعند « البئر » . وصارت العائلة كلها عزيزة عليه ، وأصبحت لاولريكه منزلة خاصة فى قلبه . ومن ثم قدم لها الجزء الثانى من « الشعر والحقيقة » وسجل اهداءه اياها بأشعار تخلد ذكرى الايام اللطيفة التى قضياها فى مارينبات وتتضمن رجاء لها بأن لا تنساه . وكانت من عادة

جيته أن يهدى بعض الاشخاص قطعا شعرية صـــغيرة على سبيل الذكرى .

وفى بوهيميا وضع جيته عدة قصائد تتفق والمناسـبات التى كتبت فيها ، كما اعتاد ان يفعل وهو على ضفاف الماين والراين . واتصفالبعض من قصائد المناسبات هذهبالشاعرية الحقة ، وان لم يك ذا أهمية كبرى . وفضلا عن ذلك ، فنجد بين هذه القصائد ذاتها شيئا آخر ارتفع على المستوى العـام لمثل هذا الانتاج .

وفى ٢٤ يوليو ذهب الشاعر الى ايجر ، ومنها اتجه الى الشمال عبر جبال زاكسين ، ومن ثم اتجه الى الغرب حيث فالت زاسين Waldsassen وردفيتس Redwitz كى يتـابع بحاثه فى العلوم الطبيعية من ناحية ، ولزيارة الشخصيات البارزة من الناحية الاخرى .

وأثرت أولريكه فى جيته تأثيرا قويا فى هذه المرة ؛ وبدا ذلك فى أشـــعاره « قيثارات ايوليا Aeolsharfen » التى يقـارنها فيها بايريس Iris .

أشعار وبحوث .. وحب

وفى صيف سنة ١٨٢٣ ، ازدادت شدة هذه المشاعر التى كان يحبسها فى نفسه ، من قبل فى حذر فائق . فقـد جاء الشاعر للمرة الثالثة والاخيرة للاستشفاء فى بوهيميا بعـد أن زاح عن جسمه ذلك المرض الذى كان قد أصابه .

وفى ٢ يوليو ، وصل جيته الى مارينبات قادما من ايجر ، واتخذ لنفسه سكنا فى الكروم الذهبية Goldenen Traube

فى مواجهة بيت بريزيجكه . ووصلت السيدة فون ليفنسوف بالفعل فى الحادى عشر من يوليو .

ولقد اوحظ أن جيته كان منهمكا فى البداية فى أعماله الشعرية وأبحاثه فى العلوم الطبيعية ، الا أنه انخرط بعد ذلك فى المجتمع الذى استولى على كل وقته دون أن يترك لاعماله وأبحاثه لحظة .

وجاء فى هذه الفترة الى البلدة كل من العاهل الكبير كارل أوجوست ولودفيج Ludwig ملك هولندا السابق ، والكونت كايبلزبرج ، وعديد من الشخصيات المرموقة عامة . ومن ارستقراطيى بولندا خاصة . هذا فضلا عن وفرة من السيدات .

واستطاع جيته ــ الذى كان قد جاء غير قادر تقريبا على ان يعيش فى « حمام العذراء المقدسة » ــ ان ينفض المرض عن نفسه هنا تماما بحيث أمكنه على الفور أن يتابع الحياة الاجتماعية بمطالبها كلها ، والاغرب من ذلك انه راح يرقص فى حفلات الشاى .

وجاء فى رسالة بعث بها شاعرنا الى تسلتر المؤلف الموسيقى والملحن ، أنه قد أمضى وقته فى مارينبات « مرحا دون أدنى متاعب ، نعم مرحا تماما كما لو كان قد عاد الى الحياة من جديد » .

حب الساحرة

وزادت صلاته الودية باولريكه حيث اجتذبته اليها تماما وصارت ذات سلطان دائمى كبير عليه . واستغل جيته من ناحيته كل مناسبة ليتصل بها ، وقد سجل فى أشعاره كثير

وهناك وصل ما تهدد بالانقطاع من علاقات مع العائلة الحبيبة وصاروا فى كثير من الاحيان يقومون برحـــلات خلوية ، أو يحضرون الحفلات الاجتماعية . وفى الحفل الراقص الذى أقيم فى ٢٧ اغسطس ، تجمعت حول جبته أجمل الفتيات ـــ وذلك عندما جاء الدور على السيدات لاختبار شريكهن فى الرقص .

وفى اليوم التالى ، ذهب مع العائلة الى البوجن Elbogen ليحتفل بعيد ميلاده بعيدا عن الضوضاء . وقدمت له الاخوات كوبا زجاجية بأسمائهن ، حتى يحتفظ بذكريات الايام اللطيفة .

وداع

وفى اليوم الخامس من سبتمبر رحل ثانية الى ايجر بعد وداع مرير . وهناك كرس وقته « لمراثى MarienbaderElegie مارينبات » التى تحدث فيها عن تجـربته الاخـيرة ، وعبر فيها عن حزنه على السعادة التى مرت به ، بشاعرية عاطفية قوية . ولكن الشاعر يحس مع هذا الاسى العميق بالعزاء اذ أنه بدأ يتسامى بنفسه ويرتفع بذاته الى الله « الخالد الذى لا اسم له » ، وفى الشعور الدينى وفى الخضوع لما لا حيلة لتغييره ، ذلك الذى « نسميه ورعا » .

ثلاثية الآلام

وهكذا تغنى جيته فى أيام شيخوخته بالاحـزان المنبعثة من روحه ، ولم يعد يرى اولريكه التى كانت لاتزال تعيش حتى ذلك الوقت بقصرها فى بوهيميا . وبعد أن كان يسميها فيما مضى بالساحرة أصبح يسميها اليوم بالتى تهب الحب .

وقد أضاف جيته هذه المرثية فيما بعد الى عملين من أعماله السنوية ، وجعل منها « Trilogie der Leidenschaft

ثلاثية الآلام » وتبدأ هذه الثلاثية بقصـــــيدته « الى فيرتر An Werther » (١٨٢٤) التى كتبها بمناسـبة ذكرى نشر كتابه « فيرتر » . وتتبعها هذه المرثية ، ثم تأتى بعـــدهما مقطوعته « عزاء » التى مر بنا ذكرها .

وفى الواقع أنه لا سبيل الى انكار أن مشاعر جيتــــه واحساساته فى هذه المسألة القلبية الاخيرة كانت أقل عاطفية من ذلك الذى نحس به عندما نقرأ ما عبر به عن مشاعره فى « المرثية » . ومن هنا يتضح لنا أيضا مدى التأثير القوى الذى تركته فى نفسه الاشعار الملتهبة التى وضـــعها اللورد بايرون Byron .

الوحدة

وبعد عودة جيته ، اعتكف ثانيــــة فى حجرته التى كانت تسمى « كهف عناق الارض Dachshöhle » (١) .

وتابع أعماله ودراساته بكثير من المثابرة والنشاط ، حيث كان فى حاجة ماسة للراحة والتركيز ، وخاصة بعـــد ذلك التشتت الذى كان يعيش فيه فى أثناء الرحلة الاخيرة .

وفى أكتوبر زارته السيدة سيما نوفسكا ، وأثارت كوامن نفسه ثانية ، ولكنه كان عندذاك اكثر شعورا بالوحدة والابتعاد عمن حوله . ومع ذلك فقـــد استطاع أن ينسج الخيوط الروحية فى كل الاتجاهات المحيطة به . وعكف على القـراءة لفترات طويلة ، وشغل نفسه بالاشعار البوهيمية والصربية ،

---

(١) عناق الارض حيوان من عائلة الثعلب يعيش فى أوروبا ، ويستعمل شعره بصفة خاصة فى صناعة فرش الحلاقة .

واليونانية الحديثة ، والليتوانية ، والانجليزية ، والرومانية . وترجم وفرة من الاشعار القيمة فيها . كذلك تابع بانتباه تلك الاعمال الجرمانية التى خلفها الاخوان جريم Grimm مؤسسا أبحاث اللغة الالمانية .

وهكذا ظل يعمل فى كل الميادين رغبة منه فى أن يحث الناس على الاعتراف بأنه — على مر الايام — سيتكون أدب عالمى من تلقاء ذاته ، يكون للالمان فيه دور كبير — الامر الذى جعله يهيىء شعره الخاص لهذا الفرض ، فتعددت جوانبه وذاعت بذلك شهرته الى أوسع نطاق حتى انه راح يتسلم من كافة انحاء العالم الثقافى صنوفا عدة من الانتاج الروحى كان يقف هو منها موقف القاضى المرموق والحكم السامى ، فصار بذلك كأنه « حاكم الروح الشاعرية على الارض » — كما قال نوفاليس Novalis .

تمثال للشاعر فى فرانكفورت

وفى يوليو ١٨٢٤ ، زارته بيتينا برنتانو — التى صار لقبها فى ذلك الوقت البارونة آرنيم Arnim ، وذلك بعد أن انقطعت عنه فترة طويلة ، فأقامت بذلك أمتن حلقة اتصال بين جيته والرومانتيكية ، ومدينة أبيه .

وعرضت بيتينا عليه رسومات لتمثال يقام فى فرانكفورت ويمثل جيته فى شكل وقور ، ولكنه اعتذر بلباقة عن قبول هذه الفكرة التى لم تكن تتفق والمزاج الذى كان يسيطر على الالمان فى ذلك الوقت . كذلك أدى الى فشل هذا المشروع ، ما كان يسود لدى الالمان من اتجاهات ضد هذا « العبقرى غير الوطنى » . ولم يقم فى فرانكفورت الماين تمثال لجيته الا ذلك الذى أتمه شفانتهالر Schwanthaler فى سنة ١٨٤٤ .

وسيطر حقد الناس على جيته حتى بين اقرب المقربين اليه ، اللهم الا القصر الذى كان يقدره حق قدره .

جيته واحد !

ومن الادلة على ذلك الرضى والتقدير أنه حدث عنـــدما أراد مجلس مقاطعة فايمار ان يضايق جيته باعتباره « رئيس وزراء الدولة » بخصوص الحسابات التى كان ينفقها عـــلى الفنون والعلوم فى البلاد ، اعترضت الدوقة النبيلة اويزه ، وقالت « ليس لدينا الا جيته واحد ، ومن يدرى الى متى يبقى ، وربما لا يظهر جيته آخر بسرعة » . ومن ثم بقى جيته عـــزيز الجانب ، متمتعا برعاية مؤيديه من أصـــحاب المراكز المرموقة فى موطنه الخاص .

أما الجماهير التى كان يريدها جيته واقفة فى صف فنــه وابتعدت عنه فكانت تستحق فى رأيه كل ما صدر عنه من عبارات قاسية عن جماهير البشر . ولقد عمل من جانبه على تفادى اثارة الشائعات من حوله ، ولذلك كان متحفظا للغاية ، وراح يتبع الرسميات فى معاملة الناس — الامر الذى جعلهم يأخذون عليه أيضا انه فخـــور متعجرف ، وانانى منكبر ، ووصفوه بانه ارستقراطى مزهو بذاته ، وبأنه كان مجرد خادم للامراء .

وازء ذلك لم يكن من سبيل امام جيته الا الابتعاد عن عامة الناس ، وكفاه ما ضربه الدوق من مثـــل رائع للسمو العقلى الراقى وذلك فى الاحتفال بعيد ميلاد جيته فى ســـنة ١٨٢٥ ، اذ أمر باصدار عملة تذكارية فى هذه المناسبة ، فضلا عن أنه وجه اليه خطابا كتبه بيده قال فيه « انه يعتبر يوم دخول جيته الى فايمار ، قبل خمسين سنة ، اليوم الحقيقى

الذى بدأت فيه خدماته للدولة ، ويعتبر أنه من أعظم مفاخر حكومته أنها اكتسبته الى الابد » .

وأمر الدوق بلصق صور هذه الرسالة الخطية على اركان الشوارع فى فايمار فى السابع من نوفمبر . وما أن علم جيته بفحوى هذه الرسالة حتى قال فى تأثر عميق ، وبكلمات تنم عن مدى تقديره لاميره « انه هو ! Das ist er » .

وفى الواقع ان كارل اوجوست هو الذى تسبب فى شهرة فايمار . وان تمثاله الذى يصوره ممتطيا صهوة جواده فى فيرستن بلاتس Fürstenplatz « ميدان الامراء » فى فايمار ليعبر بصدق عن مدى أهمية حكمه الطويل المثمر .

بين الاعمال والاحداث

ولقد عمل جيته منذ سنة ١٨٢٥ فى طبعة جديدة من « سنى التلمذة » . و فى ١٨٢٦ بدأ فى كتابة الفصل الخاص بهيلانة من الجزء الثانى « لفاوست » . وفى ربيع ١٨٢٧ بدأ فى حديقة بيته الهادىء على الايلم أشعاره التى أوحى اليه بها ما تتميز به الحقول المحيطة ببيته من الوان غنية رائعة . وقرأ جيته بعد ذلك « بروميسى سبوزى Promessi Sposi » للكاتب الايطالى مانتزونى Manzoni .

ووقعت بعد ذلك مجموعة من الاحداث ذات الاهمية الكبرى فى حياة جيته . ومن ذلك انه اجتمع فى سنة ١٨٢٦ مع جريل بارتسر Grill Parzer . وفى سنة ١٨٢٧ توفيت السيدة فون شتاين وتوفى صهره فالبيوس الذى كان يقدم له دوما كل ضروب المساعدة عن طيب خاطر .

وفى سنة ١٨٢٧ ايضا زار جيته لودفيج الاول Ludwig I ملك بافاريا الذى كرمه وقدره وأجله كل الاجلال ، ثم أمر بأن يذهب الى الشاعر فى العام التالى رسام البلاط ى. شتيلر J. Stieler ليرسم صورة له فى فايمار . وفى هذه الصورة كان جيته يجلس الى المائدة ممسكا بيده رسالة التهنئة الملكية وتعد هـــــذه الصورة بحق احسن رسم يمثل جيته فى شيخوخته .

الى قصر الاحزان

وجاءت سنة ١٩٢٨ بخسارة كبرى لجيته ، فقد فجع فى صديقه الودود وأميره العطوف الدوق كارل أوجوست الذى توفى فى جراديتس Graditz قـــرب تورجاو Torgau وذلك فى طريق عودته من رحلته الاخيرة الى برلين فى اليـــوم الرابع عشر من شهر يونيو .

وحدادا على الامير عاد جيته الى حياة العزلة والوحـــدة فى دورنبورج Dornburg قرب يينا ـــ وكانت هذه البلدة تابعة لفايمار حسب تقسيم الاراضى والمقاطعات المتفق عليه فى سنة ١٦٧٢ . وقضى الشاعر الفترة ما بين ٧ يوليو و ١١ سبتمبر فى القصر المسمى بالقصر الثالث الصغير ، الذى كان قد زاره من قبل عدة مرات فى أيام احزانه وآلامه . ويطل هذا القصر على منظر جميل فى وادى زاله Saale فضلا عما يحيط به من ألوان الطبيعة الساحرة . وقد حفر على باب القصر باللغـــة اللاتينية ما ترجمه جيته الى الالمانية ببيتين من الشعر الجميل :

"Freudig trete herein und froh entferne dich wieder!
Wanderer, ziehst du vorbei, segne die Pfade dir Gott."

أى :

« ادخل متمتعا واخرج ثانية بهجا !
واذا مضيت ايها المجول ، فليبارك الله طرقك . »

وفى مدينة دورنبورج ، استعاد شاعرنا ثانية هـــدوء عقله بعد هذه الضربة الشديدة ، وعادت له القدرة على قول الشعر . وراح يصف البدر فى السماء ، الا أن وصفه الرائع عن « البدر الساطع «Dem aufgehenden Vollmonde اختلط فيه التعبير البديع عن الاعجاب بجمال الطبيعة والليل الساحر بما فيه من متع شتى .. اختلط بالاحزان والآلام والاسى .

وبالاضافة الى ذلك وضع جيته بعض الاشعار الاخرى فى هـــذا المـكان ، منها الابيـــات التى قالها لتكتب عـلى أكاليل من الغار أهداه للممثل ب . ا . فولف P. A. Wolf الذى مات فى يوم عيد ميلاد جيته وهو يعبر فايمار .

سنى تجوال فيلهلم مايستر

وفى الشتاء التالى ، كان جيته قد تمالك قواه ثانية ، فراح يعد للطبع كتابه « سنى تجوال فيلهلم مايستر » الذى ظهر فى يونيو سنة١٨٢٩ . ولا صلةلهذا الكتاب بكتابهالآخر اذ انه هنا وصف فقط ــ فى مجموعة صور منفصلة ــ ما قام به شخص أسماه فيلهلم من جولات . وليست هذه الجولات بقصـــة متكاملة فى مجموعها ، بل مجرد مجموعة من القصص أو الصور الصغيرة المسلية والهادفة الى حد ما .

ولقد شغل جيته نفسه بها منذ سنوات ، واراد أن يقدمها للمجتمعات كنوع من التسلية لما تضمنته من مرح وفكاهـــة وطرائف . وكان الشاعر قد نشربعض اجزاءهذا الكتاب ، ومنها

حكاية « الاحمق الجوال Die pilgernde Thörin » التى طبعت قبل ذلك بوقت طويل . وأضاف جيته لكتابه البعض الآخر فى اللحظات الاخيرة ، مستعينا بصديقه الخاص « ايكرمان Eckermann » ، مقلدا بذلك طريقة الرومانتيكية وخاصة ل . تيك L. Tieck . وليس ثمة ترابط خارجى بين أجزاء الكتاب المختلفة ، اللهم الا فى العناوين وفى فكرة الاستسلام ، بحيث تبدو القصص وفيها ترابط روحى الى حد ما . ومع احترامنا للغة التى يكتبها جيته ، الا انه علينا أن نقول ان « اسلوب جيته الشيخ » يغلب على هذه المجموعة الى حد ما ولكنه لم يسد كل اجزاء هذا العمل .

ومن بين احسن قصصه واكثرها ترابطا وانسياقا قصة « الفتاة السمراء Das nussbraune Mädchen » التى نشرها فى يوميات ليوناردو Leonardos Tagesbuch ، و « ميلوزينه الجديدة Die neue Melusine » و « رجل الخمسين Der Mann von fünfzig Jahren » . ومع أنه لا يمكن أن يعتبر القسم القصصى ناجحا تماما ، فلا يجرؤ أمرىء الا ان يقف وكله اعجاب بما تضمنه الكتاب من حكم عميقة اودعها جيته بنظام رائع فى كتابه كما لو كانت مودعة فى سجل المحفوظات . واذا أخذنا فى اعتبارنا هذه الناحية ، فيمكننا ان نحتمل قصص « منطقة التربية » التى تبعد كلية عن روحنا الحديثة ونعتبرها محتملة ومقبولة مع انها مملة .

عيد ميلاده الثمانين

وقد احتفل جيته بعيد ميلاده الثمانين فى عزلة تامة ، ولكن هذا لا يمنع من أنه تلقى الكثير من التهانى التى بعث اليه بها البلاط ، وعديد من تهانى المعجبين سواء منهم القريب أو البعيد .

وكذلك قطع عليه عزلته هذه بعض الاشـخاص الذين زاروه بهذه المناسبة ، وفى مقـدمتهم الروائى البولندى آدم ميتسكيفيتش Adam Mickiewitcz الذى جاء اليه حاملا كتاب توصية من حماته السـيدة ماريا زيمانوفسكا . وبقى الكاتب البولندى أربعة عشر يوما فى فايمار . وكان جيته قد استمع من هذه السيدة الى ترجمة لبعض أجزاء من روايتـه « كونرات فالنروت Konrad Wallenrod » فلمـا استقبله جيته ، وكان فى صحبة المؤلف صـديقه أودينييتس Odyniec ، بدأ الحديث بينهم باللغة الالمانية مما يعد بلا شـك اعتزازا وتفاخرا من جيته بلغته الالمانية ، ولكن ميتسكيفيتش اعلن انه — ولو أنه يفهم الالمانية ويستطيع التعبير عن نفسه بها — الا انه لا يجرؤ على الكلام بها أمام أعظم المانى . ومن ثم انتقـل الجمع بحديثهم للغة الفرنسية وواصلوا مناقشـاتهم بها ، وتحدثوا عن الادب البولندى والفرنسى .

وكان من ألطف الاحداث التى وقعت فى هـذه الفترة أن دوق مكلنبرج — شتيرليتس Mecklenburg-Sterlitz اشترى ساعة الصالة التى كانت فى بيت والد جيته ، وعمل على وضعها سرا فى بيت جيته ، فلما اشرق يوم عيد ميلاده ، أدهشه ان يسمع دقاتها المعـروفة له تماما . وراح أهـل فرانكفورت أنفسهم يتناقلون الاخبار المماثلة عن كيفية تكريم جيته .

زيارات وصدمات

وفى سنة ١٨٢٩ زار جيته أيضا الشاعر السيليزى كارل فون هولتاى Karl v. Holtei ، وجون فوربس الانجليزى John Forbes (المتـوفى فى ١٨٩٩) وعازفة البيـان الشهيرة كارولينه برتهالر Karoline Perthaler ، وفى سنة ١٨٣٠

زاره Felix Mendelsohn Bartholdy فيليكس مندلزون — بارتولدى .

ولكن هذه السنة كانت أسوأ الاعوام التى مرت بحياة جيته ، ففى ١٤ فبراير اغمضت الدوقة العظيمة عينيها الى الابد . وفى نهاية اكتوبر توفى ابنه أوجوست اثر صدمةعصبية تزعجه ذلك للغاية حتى انه أصيب بصدمة كادت أن تصل به الى حافة القبر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٣٠ . ولكن طبيعته الصلبة مكنته مرة أخــرى من التغلب على الضعف الجثمانى الذى أصابه . . . ثانية الى العمل والانتاج .

وفى شهر يولية من سنة ١٨٣١ ، أتم جيتهتسجيلتاريخ حياته ، كما انتهى من وضع باقى « فاوست » التى كان يعتقد أنها العمل الاخير الذى يختتم به حياته ، واعتبر جيته الايام التى قد تكون له بعد ذلك فى هذه الحياة مجرد منحة يقدمها له القدر الرحيم .

فاوست

وفى الرسالة التى كتبها جيته فى ١٧ مارس ١٨٣٢ الى فيلهلم فون هومبولت ، اكد الشاعر أن فكرة « فاوست » انما كانت واضحة لهتماما منذ البداية أى قبل ستين سنة ويزيد . ولكن العمل فيها تعثر غير مرة طوال هذه الحقبة من الزمان بسبب المشاغل والاحداث التى مرت به . وكان كلما اراد مواصلة كتابته اياها ، أحس بالفشل والخوف من الا يبقى لهذا العمــل قوة وحدته عامة ، أو وحدته من الناحية الاسلوبية على الاقل .

ولما كان الشاعر قد غير الخطة التى كان قد رســمها ، وتنقل بين أعماله يشتغل هنا وهناك ، فضلا عن أنه قد غير

آراءه مع التغيرات النفسية التى مرت به وبآرائه الفنية ..
فقد أدى كل ذلك الى استحالة المحافظة على وحدة الموضوع .

ومن بداية قصة فاوست الاصلية حتى اتمام العمل كله حدث تداخل كبير ، أدى الى أن الشاعر اضطر الى الاستعانة بكل خبراته فى « الاهداء » وفى المقدمة التى وضعها عن المسرح و « فاتحة فى السماء » .. بغية الابقاء على وحدة الموضوع كفكرة .

قصة الجنس البشرى

وليست قصة « فاوست » هذه الا قصة الجنس البشرى ، تناولها جيته تناولا فلسفيا ، فلم تخرج رواية مسرحية بمعناها العام ، بل كانت شعرا عاليا ذا أهمية تاريخية عالمية ، تضمنت كل تجارب البشرية . وينقسم هذا العمل الشعرى الى قسمين يسير كل منهما فى خط مواز لذلك الذى يسير فيه الاخر ، فالجزء الاول يأتى بصفة أساسية « بمأساة المرأة Tragödie des Weibes » ، وذلك فى عرض مؤثر .
وفى ذلك الجزء لا يلعب فاوست الدور الرئيسى ، بل لعبته الفتاة « جريتشن Gretchen » التى كانت حالها تدعو للاسف والحزن .

وفى التقديم الذى ألقاه فاوست بمفرده بأسلوب هانز زاكس Hans Sachs ، يبدو الدكتور فاوست كرجل علم ، أقرب الى الشيخوخة منه الى الشباب ، ولذا فقد تملك اليأس نفسه وصار يائسا من ذاته ومن معارفه ، يقبع فى قاعة مكتبه التى تتميز بما فيها من اقواس قوطية عالية ، وبما تضمه فى طياتها من الكتب وما خلفه له الاجداد والاسلاف من آثار منزلية . ومع انه قد درس الكليات الاربع جميعها الا أنها لم

تشبع نهمه للعلم والمعرفة ، وانما قادته الى الايمان بما كان سقراط قد قاله من أنه لا يمكننا أن نعرف شيئا . وظل هذا « يحرق قلبه تماما » ، ومن ثم راح يحاول أن يصل الى غرضه عن طريق السحر ، وان ينفذ الى أسرار الطبيعة ، ويشتغل بالسحر الارضى — باعتباره القوة الخلاقة الخالدة فى الطبيعة . ولكنه لا يستطيع أن يبثها القدرة ، اذ أنه — وهو المخلوق — لا يمكن أن يشبه الخالق . وهنا يؤكد له مساعده فاجنر — الذى يدعى العلم — انه ليس الا قزم صغير أو طفل وليد فى هذا الكون ، وانه لن يستطيع ان يشبع طموحه ورغبته . ومن ثم يقرر أن يضع حدا لهذا الوجود المؤلم .

وفى هذه اللحظات ترتفع اجراس عيد الفصح ، فتنادى منه الاعماق ، وتعود به الى ذكريات الشباب السعيدة ، وتجتذبه الى الحياة ذاتها . وأحس فاوست بالوحدة اذ كان ينقصه الايمان المقدس .

وهكذا خرج فاوست مع فاجنر فى يوم عيد الفصح الى الهواء الطلق ، ولكنه لم يشعر بالسعادة او يحس بالراحة . وراح يختلط بالناس الذين تملأهم الفرحة والغبطة دون أن يجد معنى لسرورهم وبهجتهم .. ذلك أن « صدره كان يضم روحين » ، ولم يسمح له الصراع الداخلى بان يتمتع بأية تسلية .

وهنا تظهر له كلبة سوداء تجرى بين الحاصيل والاعشاب ، وراحت تقترب منه فى دوائر ، فأخذها فاوست معه الى البيت . وعندما بدأ فى قراءة انجيل يوحنا بصوت عال ، اتخذت الكلبة وضعا أثار انتباهه . ومن ثم اعتقد فاوست انها شبح يتقمص صورة الحيوان ، فسحرها . وهنا يأتى مفيستو من خلف الموقد فى صورة عالم متجول ، وهو يمثل الروح الشريرة

الضالة ، ولا يريد دوما الا الشر ، ومع ذلك يخلق الخير . ومن ثم ، فانه لا يبدو حرا فى عمله ككائن جهنمى . وقد استعمل السحر فى أن يخرج فى هذه المرة من حجرة فاوست ، فاطلق دخانا أزرق أمام الرجل العالم الساحر ، واختفى تماما تحت حماية الاشباح غير المنظورة .

ويرى فاوست نفسه أمام كل هذا ، ولا حول له ولا قوة . ويقع من جراء ذلك فى حسرة شــــديدة وألم دفين . ويظهر مفيستو بعد ذلك فى شكل شاب وسيم نبيل ، يعــرض على فاوست خدماته . وينتهيان الى الاتفاق على ذلك العقــــد المعروف بينهما ، الذى يشبه الرهان فى مظهره ، وينص على أنه اذا استطاع مفيستو أن يحقــق اطمــاع فاوست ، يصبح الاخير ملكا له .

وبعد أن تحادث مفيستو مع العالم بطريقته الشيطانية ، قام هذا المضلل بجولة معه فى أنحاء « العالم الصغير » ، فذهب فى أول الامر عبر الهواء الى مطعم اويرباخ Auerbach's Keller حيث يجتمع التلاميذ ، ولكن فاوست لم يجد لذة فى صحبــة هؤلاء الشبان السطحيين . ومن ثم جدد مفيستو له شبابه فى مطبخ الساحرة ، وجعله قابلا لاغراءات الحب . وبعــدئذ أحضر اليه مفيستو ماجى Maggy الجميــلة ، التى كانت بين يدى الساحرة العجوز مارتا شفيرتلاين Martha Schwertlein ولم يكن من الصعب أن تسقط هذه الفتاة .

ويفرد جيته الجزء الاول كله من فاوست لمأساة هـــذه الفتاة المسكينة ، مما لا يمكننا الاستطراد فى توضيحه هنا نظرا لضيق المجال . ويكفى أن نقول ان الطــريقة التى تناول بها الموضوع تترك أثرا حقيقيا خالصا بما سجله فيها من حوادث متغيرة وتطور فى المأساة .

وتعد ماجى ذاتها أكثر الشخصيات الروائية ــ التى خلقها جيته ــ فى صدقها ومطابقتها للطبيعة بدرجة تقرب من الكمال.

صحيح أن الفتاة المضللة سمت أمها ، وكانت سببا فى قتل اخيها ، وفى النهاية قامت بقتل طفلها أيضا ! ولكن الثمن الذى دفعته مقابل ذلك كان ثمنا كبيرا فادحا يتعادل وجسامة الجرائم التى ارتكبتها .

ويأتى مفيستو بفاوست الى سهرة ليلية معربدة على جبل بروكين Brocken وذلك بقصد التسرية عنه ، الا أن فاوست يشعر بوخز ضميره ورغبته فى تحرير ماجى التى تقبع فى غياهب السجن منتظرة الجلاد ليضع حبل المشنقة حول عنقها .

ويقابل فاوست ــ فى « مشهد السجن » المؤثر ــ الفتاة المسكينة وقد أصابها مس ، فصار كل همها أن تكفر عن جريمتها بالموت ، ولم تعد تريد ان تسير بعد ذلك وراء فاوست .

وبهذه النهاية يختتم جيته الجزء الاول من « فاوست » .

العالم الكبير

أما الجزء الثانى ، فوضعه فى خمسة قطع أكبر يقال لها فصول . وهى تشبه الى حد كبير الجزء الاول ، وتعرض طريق فاوست خلال « العالم الكبير » .

وعلى العكس مما تميز به الجزء الاول من واقعية ، فان الجزء الثانى يعرض أمامنا احداثا مجازية ، تضيع احيانا فى مجردات خالصة حتى أن الكثير منها يشار اليه رمزيا فحسب ،

ولم يكن من الممكن استعمالها فى مجرى الاحداث الا بصعوبة بالغة . وقد حشد جيته فى هـــذا الجزء « كثيرا جـــدا من الاسرار » ، واستعمل فن الشعر بأعرض ما فيـــه لادخال الاغــراض الشعرية المختلفة فيــه . وهكذا صـــار الجــزء الثانى من فاوست لا يحتفظ من الشكل الروائى الا بالهيكل الخارجى فحسب ، مما يجعل عرضه على المسرح أمرا تحف به من الصعاب مالا حد له . وربما لم يفكر الشاعر نفســـه قط فى عرض هذا العمل الشعرى على المسرح .

وقد ملأ الشاعر الفجوة الواضحة فيما بين القسم الاول والثانى بما كتبه عن ذلك النـــدم واليأس الذى يستشعره فاوست ، حيث يعترف بالخطيئة التى ارتكبها ، ولـكنه يلفى نفسه مرتبطا بمفيستو بالعقد المبرم بينهما ، فضـــلا عن انه لايود أن يتخلى من جانبه عن « أطماعه » ، وان كان قد حولها ــ منذ ذلك الوقت ــ الى اتجاه آخـــر غير ذلك الذى كانت تسير فيه من قبل .

وعندما يستبد القلق والتعب بفاوست ويهفو الى النوم والراحة ــ كما يبدو فى بداية الفصل الاول ــ يستلقى فى أحد المراعى الملأى بالزهور ، وترفرف من حواليه أشباح الطبيعة الفاتنة لتهدئه وتسكنه ، وهكذا يعود الى الحياة وقد استرد نشاطه وحيويته . ويبـــدو فاوست مع مفيستو فى القصر الامبراطورى حيث يحاول أن يجعل من نفسه رجلا مفيدا بعد أن يجد أن الامبراطور ليس فى مقدوره أن يتصرف فى المشاكل العديدة التى تواجه الامبراطورية ، وخاصة ذلك النقص العام فى الاموال الذى يتسبب فى شل كل ميادين النشاط هناك . ويخترع مفيستوفوليس ــ الذى اخـذ فى ذلك الوقت مـكان مضحك الملك ــ أوراق النقد ، بينما يقوم فاوست بمهمـة تسلية البلاط بألاعيب سحرية شيقة . ومن ثم يصـــل الى

العظمة والابهة ، ويصبح ذا حظوة لدى الامبراطور الذي يبدي رغبته في مجرد رؤية ذلك الزوج العتيق من المحبين « باريس وهيلينا Paris und Helena » اللذين تروى الاساطير قصة حبهما . وتخون فاوست حيله وألاعيبه ، ولا يستطيع تحقيق هذه الرغبة على الفور . ومن ثم يذهب ــ بناء على نصيحة ذلك الشيطان « المسيحى » الى الامهــات Mütter ــ التى كانت الاساطير اليونانية تقول انها تسيطر على العالم السفلى . وينجح بأسحاره في استحضار هذا الزوج الشهير من المحبين في « قاعة الفارس » بالقصر . وكانت هذه الرواية قد وردت بالفعل من قبل في أسطورة فاوست ، ثم اهتم بها جيتــه اهتماما خاصا في روايته .

وتعد « هيلينا الجميلة » النموذج الاغريقى المثالى للجمال ، وهى التى تقاس بها الحياة والفن . ومن ثم ، فلا غرابة في أن يقع فاوست في حب ربة هذا القد الساحر المسحور ، ويرنو بعواطفه الى الاصل ذاته .

ويرقد فاوست على سريره العتيق فى حجرة مكتبه ويحلم بهيلينا . ويهــز مفيستو « سيد الحشرات » فراء فاوست العتيقة ، فتقع منها على الفور الحشرات ، وتبدأ في عبادته . ويدق الجرس بعــد ذلك لكى يدخــل المتطفلون . ويترنح نيكوديموس المعتز بنفسه والذى صــار المساعد الجــديد لفاوست بعد أن أصبح فاجنر خليفة لفاوست . ومن ثم يأتى التلميذ السابق وقحا مغرورا بعد أن حصــل على البكالوريا وصار مثله في ذلك كالشاب الذى يتباهى بما وصل اليه من علم .

وعندئذ يذهب فاوست الى فاجنر الذى يستعد لخلق الانسان الصناعى ــ وذلك فى قارورة هائلة أعدها لهذا الفرض.

وكان فاجنر يريد انسانه «رجلا صغيرا مهذبا أنيقا» . وأصبح هذا الانسان الصناعى الصغير دليلا لفاوست ومرشدا له فى بحثه عن هيلينا . وهكذا يأتى به فعلا الى « سهرة كلاسيكية عربيدة » على الحقول الفرزالية التى تتجمع فيهامعظم الاشباح والالهة التى تحدثت عنها الاساطير الشرقيــة القديمة . وتتجسد هيلينا ماديا لتقـابل فاوست ــ وهكذا يتحـد الكلاسيكى بالرومانتيكى .

ويضم الفصل الثالث رواية « هيلينا » التى كان جيته قد وضع هيكلها الاساسى قبل ذلك بفترة طويلة ، ولم ينتهمن صياغتها الاخيرة الا فى سنة ١٨٢٦ . وهذه الرواية فى الواقع رواية داخل الرواية ، تسير على نهج الاسلوب الاغريقىالقديم فى المأساة .

ويبـدو فاوست فى هذا الفصـل على شكل فارس من اصحاب القلاع ، ويعين هيلينا الجميلة معاونة له فى الـحكم ، ثم يتزوج منها ، فتلد له أويفوريون Euphorion الابن المجنح صاحب القيثارة الذهبية والراس الذى ينبثق عنه النـور ، ولكنه لا يستطيع أن يكبح غرائزه . ومن ثم يندفع ــ كماحدث للانسان الصــناعى الذى داسته عــربة جالاتيه Galatee الصدفية . . يندفع للحائط المنهار من عل . ويظل ينادى أمه أليه وهو فى الاعماق السحيقة . ولم يعد لفاوست الذىخاب أمله من بعدها سوى رداء الحاكمة الحسناء .

ويمثل هذا الفصل الطويل الرابطة التى استلهمها جيته من المبدأ الالمانى فى الفن ، وذلك المبدأ القديم ، فعلى الاخير أن يمد الاول بالشكل ، ولكن المبدأ القديم لم يعد بذاته بقادر على الاستمرار وحده فى الحياة والبقاء . وتنتهى بسرعة المبالغات

التى يرمــز اليها باويفوريون ، كما حــدث مع اللورد بايرون الذى تلألأ كالشهب ثم انطفأ بسرعة .

ولم يجد فاوست فى طموحه « للجمـــال الكلاسيكى » الا القليل من الرضى والحظ المتصل ، كما يبدو فى الافعال الحسية التى جاءت فى الجزء الاول . ومن ثم ، فانه يتحول فى الفصل الرابع الى العمل الحضارى ، حتى لتبدو مجريات الاحداث كما لو كانت قاصرة عليه كلية . وسرعان ما تجىء الفرصـــة المواتية للعمل والخلق والابداع ، اذ كانت عملية الغش المالى قد أودت بالامبراطورية وقادتها الى التحطم المالى ، وحرمت الناس من كل ما لديهم من بضائع ومنقولات وأثاث . وتقوم الثورة التى تعين شخصا آخر من مناوئى الامبراطور ، ويقع الحاكم الاصلى فى مأزق يصعب عليه أن يخرج منه . وهنـــا يضع فاوست نفسه الى جانب « الحق التاريخى » ، ويفــوز الامبراطور ــ بمساعدة مفيستو ــ فى المعركة الحاسمة . وفى مقابل ذلك يتلقى فاوست منحة امبراطورية قيمة هى شريط من الارض الساحلية يهبها له الامبراطور ليقوم على زراعتها .

وفى بداية الفصل الخامس ، يظهر فاوست وقد صار أكبر فى السن عن ذى قبل ، ولكنه كان منشرح الصدر اذ نجح فى عمله الزراعى . ولم يقتصر فى نجاحه على عمله الزراعى ، بل نجده يستولى على جزء من البحر يلاصق اقليمه الساحلى ، وأسس هناك ميناء فتحه للتجارة الخارجية . ويضع مفيستو نفسه وأشباحه فى خدمة فاوست ، ولكنهم لا يخلصــون له كلية ، بل يعملون ضد مشيئته كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويعمدون الى الخطأ فى تنفيذ أوامره كلما سنحت لهم فرصة الى ذلك . وتنقلب عمليات التجارة والشحن فى المينــاء الى عمليات قرصنة .

وينفذ مفيستو أوامر فاوست ، ولـكن بغلظة شريرة . ويظهر هذا بصفة خاصـة فى مشـهد « فيليمون وباوكيس Philemon und Baucis » ، اذ كان هذان المسـنان يعيشـان كريمين سعيدين فى منزل صغير يملكانه ، تحيط به حديقـة جميلة ، وتقبع فى أحد أركانه كنيسة . وكانت دقات الجرس الصغير القائم عنـد رمال الشـاطىء فى ذلك البيت يضـايق فاوست ، ويذكره دائما بأن « سيطرته على العالم » لم تكن كاملة ، ومن ثم يقرر فاوست الاستيلاء على أملاكهما .

"So sind am härtsten wir gequält,
Im Reichtum fühlend' was uns fehlt."

أى :

« وهكذا نشعر ونحن أغنياء بما ينقصنا
ومن ثم نستشعر أشد درجات العذاب النفسى »

وكان يقابل هذا البيت الهادىء والحياة الوديعـة التى يحياها فيليمون وباوكيس ، قصر فاوست الذى تمتد مـن حوله حديقة واسعة بديعة تخترقها قناة مستقيمة . وبهذه الطريقة أوضح لنا كيف لم تستطع الحضارة الحديثة بماحققته من انتصارات أن تجعله يحس بالسعادة النفسية !

ويزمع فاوست انشاء مرصد عال « ليشرف منه بنظـرة واحدة على التحفة التى أوجـدتها روح الانسان » . ويتبع فاوست نصيحة مفيستو الماهر بنقل هـذين المسنين دونما خجل أو وجل الى مكان آخر ، حيث أقيمت لهما ضيعـة رائعة . وينفذ مفيستو الامر على الفور فى غلظة بادية ، ويشعل النار فى الكوخ . ويموت صاحباه المسنان من الذعر والخوف ، كما أنه يقتل أحـد الاجانب كان ينزل ضيفا عليهما ، وذلك عندما كان يحاول المقاومة .

ويبين هذاالمشهد أنه لو توفرت النية الطيبة فانها تفشل فشلا ذريعا بسبب الطباع السيئة التى جبلت عليهاالبشرية .

وبذلك يصبح فاوست خاضعا لالتزام جديد ، ومن ثم « يأمر بسرعة ، لينفذ أمره بسرعة » — وذلك بسبب خوفه من نتائج هذا العمل السيء ، الذى لابد وأن يدفع ثمنه .

وتلعب المخاوف بأعصابه ، ومن بين أنقاض الفضيلة تطفو أمامه أربعة من النساء العجائز ، وكأنها « الظلال » . وهى تمثل فى ذلك النقص ، والخطيئة ، والحزن، والشقاء . ولا تستطيع واحدة منهن الوصول اليه ، اللهم الا تلك التى تمثل البؤس ، فتعذب ضميره . وهنا ينحى فاوست كل أعمال السحر جانبا ويتسلى بفكرة المشروع الاخلاقى للكون . وينفث الحزن من نفسه عليه ، فيصبح فى وحدته أعمى ، الا أنه لا يعود الى الشكوى مرة أخرى ، بل يحس بحب البشرية ينمو فى أعماقه ، وينادى شعبه ليقوموا بالخطوة الاخيرة ، فيوجدوا للبشر مكانا سعيدا . ويضحى فاوستالذى أنضجه وقومه القدر والعمل .. ويضحى بنفسه كلية لصالح المجتمع ومن أجل رفاهة الناس :

"Das ist der Weisheit letzter Schluss :
Nur der verdient sich Freiheit wie das Leben,
Der täglich sie erobern muss."

اى :

« هذه هى الخاتمة الاخيرة للحكمة :
فان ذلك الفرد الذى يستحق حرية نفسه وحياته ،
هو وحده ذلك الذى يغلبهم فى كل يوم » .

ويريد فاوست الان « أن يقيم على أرض حرة مع شعب حر » ويريد ان يقول اللحظـة : « استمرى ، فانك جميلة جدا » ! ثم يهوى على الارض ويموت — وعمره مائة سنة — فى اللحظة التى يتمتع فيها بقمة اللذة .. تلك اللحظـة التى يتصور فيها ما سوف يصل اليه البشر من سعادة .

وينادى مفيستو الاشـباح وأرواح الموتى لتحفـر قبر فاوست ، فتضع هذه جسمه الميت فى الارض . وفى هـذه البقعة ، نتذكر ثانية وأخيرا ذلك الرهان مع الشيطان .

ويموت فاوست وهو يشعر بأنه فى قمة السعادة ، وذلك لما سوف يتحقق للكون فى المستقبل ، بعد أن صارت تصرفاته تنأى عن الانانية وتسعى لصالح البشرية ، ولكنه لا يعبر عن نفسه بالامر الواقع وانما بطريقة احتمالية فيقول : « ياليته يسمح لى أن أقـول للحظة : استمرى ! » فقد وجـد سبيله للرضى أخيرا ، ولكن بشكل يختلف عما كان قد اتفق عليه فى الماضى مع مفيستو .

وبذلك يكون الشيطان قد خسر الرهان نظريا ، رغم أنه يعتقد انه كسبه . وينادى الشيطان اشباحه ليقبضوا روح فاوست ، التى كانت ترفرف هائمة .

ولكن الانغام السماوية التى تعلو عندئذ تشير الى أن روح فاوست قد أنقذت ، اذ أن ذلك الذى تكون له همة يحدوها الامل دائما لا يمكن أن يخسر ، بل دائما ما ينقذ . فلقد حصلت له ماجى التى كفـرت عن خطاياها على الرضى والسماح فى الخلود ، واقبلت الملائكة عليه تنظف روحه من كل الشـوائب

التى كانت تلوتها وتحمله الى أعلى ، بينما يبعد مفيستو عنها والشياطين « تطير مع الدبر فى الجحيم » .

وللوصول الى نهاية مؤثرة لها قيمتها ، غاص جيته الى اعماق التصوف الكاثوليكى ، ثم تعمق فى الطبيعيات أيضـا ، وجعل مجرى الاحداث فى العالم الاخر ، مشيرا بذلك الى الحل بتعبيرات رمزية .

وفى المشهد الختامى « الجـداول والغابات والصخور والصحارى » يستحضر جيته كل المعدات الاسطورية ، ليعطى صورة عن الحياة المقدسة فى اقليم الجلال . وكان يفكر فى أن يستعمل للمناظر الخارجية نقش طيبة Thebais الذى حفر على المدفن فى بيزا ، والذى انطبعت صورته فى ذاكرته وخاصة انه رأى بعض النسخ محفورة على النحاس من ذلك النقش فى سنة ١٨١٨ .

وتسبح الملائـكة مع روح فاوست الخالدة ، بينما تعلن مجموعة المنشدين النهاية الصوفية :

"Alles Vergängliche
Ist nur ein Gleichnis ;
Das Unzulängliche,
Hier wird's Ereignis ;
Das Unbeschreibliche,
Hier ist's gethan :
Das Ewig — Weibliche
Zieht uns hinan."

اى :

« كل ما يفنى ليس الا مجرد رمز ،
وأما الناقص هنا فيصبح حدثا ،
وهنا يعمل ما لا يوصف ،
فالانوثة الخالدة تجتذبنا » .

وأى شىء آخر يمكن أن يسمو ويرتفع بنا ، كذلك الحب الكامن فى زوجة طاهرة مخلصة ؟ ! ولذلك فاننا نرى على وجه العموم أن ذلك النحو غير الانانى فى خدمة البشرية هو وحده الذى ستطيع ان يباركنا ويجعلنا سعداء فحسب .

وباكمال جيته هذا العمل الرئيسى ، وضع التاج على كل اشعاره ــ ذلك أن « فاوست » تعد أعظم ابداع فنى تأملى أنتجته البشرية ، واستطاع أن يؤثر تأثيرا كبيرا فى كل النواحى . وقد أجمع الالمان تقريبا على اعتبار فاوست أعظم عمل وطنى ، يضم أهداف البشر جميعا فى حشد كل القوى من أجل السمو بالثقافة العالمية .

وبعد الانتهاء من هذا العمل الكبير ختمه جيته ، وقرر الا يفتح الا بعد وفاته فحسب . ولكنه لم يركن الى الكسل . بل حاول أن يغشى كل مكان وأن يشغل نفسه فيماينفع ، تبقيت بذلك حياته عملا متصلا فى خدمة البشرية والثقافة الروحية .

دمعة على الحياة

وفى الليلة السابقة ليوم عيد ميلاده الثانى والثمانين ، ارتقى الجيكل هان Gickelhahn وتطلع الى ما حفره من ابيات على البيت الصغير Borkenhäuschen وهذه الابيات كان قد كتبها قبل نصف قرن تماما :

"Uber allen Gipfeln
Ist Ruh,
In allen Wipfeln
Spürest du
Kaum einen Hauch

Die Vögelein schweigen in Walde.
Warte nur, balde
Ruhest du Auch !"

أى :

« فوق كل القمم يكون السكون ،
فى كل القمم نادرا ما تشعر بالريح
الطيور الصغيرة ساكنة فى الغابة
انتظر فحسب ، فانك سرعان ما تستريح ايضا »

وعندما قرأ هذه الكلمات متتبعا السطور ترقرقت فى عينيه دمعة وانزلقت فى خفـــوت كما لو كان يبكى حياته التى كان ينبغى لها أن تطول ، رغم انه كان لايزال محتفظا بقواه نسبيا . وتغلب جيته الى حد كبير على قسوة برودة الشتاء الطـويل بالعمل والاندماج فى المجتمع .

وفضلا عن أوتيليى الوفيـــــة المخلصة ، كان ايكرمان المخلص يسهر معـــه الليالى حتى كانت له معه مناقشـــات ساحرة ، لم تكن مجرد قراءات ممتعة فحسب ، بل صارت مجالا هاما لابحاث جيته اللغوية .

وفى اليوم السادس من شـــهر مارس سنة ١٨٣٢ ، جاءه ريجمونت فون ارنيم Siegmond von Arnim ابن بيتينا ، فكتب فى مذكراته الابيات التى تشير لكل طبيعته :

"Ein jeder kehre vor seiner Thür,
Und rein ist jedes Stadtquartier ;
Ein jeder übe sein' Lektion,
So wird es gut im Rat stohn."

اى :

« كل شخص يكنس أمام بابه
فيصبح كل حى من المدينة نظيفا .
وكل فرد يتاقى دروســـه ،
ومن ثم يصلح كل شيء فى المجلس » .

ولم يبد على جيته حتى اليوم الحادى عشر من مارس اى اثر للتعب ، ففى ذلك اليــــوم تكلم طويلا مـــع ايكرمان فى بعض المسائل الدينية ، وعبر عن أمله فى أننـا نستطيع أن نتقدم خطوة خطوة من مسيحية الكلمة الى مسيحية العمل . وكانت الآراء التى أبداها جيته تشير الى أن روحه لم تكن قد ضعفت .

وأعرب جيته عن نيته ورغبته فى أن يقرأ أشياء كثيرة جدا ، وفى أن يتفحص العديد من الامور ، ويكتب آراءه بعد ذلك . ووعد بكتابة بعض السطور للصورة التى رسمها شتيلر له ، وكانت فى حوزة السيدة فون فودرييى Frau v. Vaudreuil .

برد

وفى اليوم السادس عشر من مارس فحسب سقط مريضا اثر اصابته بنوبة برد سريع ، ولم يبد طبيب العائلة الدكتور فوجل Vogel اهتماما فى بادىء الامر بهذا المرض ، ولم ير فيه أدنى خطورة . وتحسنت بالفعل صحة جيته فى اليـــوم التالى مرة أخـــرى حتى انه اســـتطاع أن يملى خطابه الى هومبولت .

ولكن سرعان ما ظهرت ثانية آلام المرض على أشـــدها ، وسرت النزلة الشعبية الى الصـــدر وسببت آلاما عصبية ، وأحس بضيق شديد فى التنفس جعله يقضى معظم وقته على الكرسى فى حجرة نومه الصغيرة .

وفى ٢٢ مارس ، وقبل انتصاف النهار بدقائق ، راحت رأسه تميل فى بطء الى الناحية اليسرى من مسند المقعد . ولما رأوا أنه لم يعد يتنفس ، استدعوا أوتيليى من الحجرات العليا بالمنزل ، فأغمضت جفونه على عينيه وهى تجهش بالبكاء .

الضجة الكبرى

وعندما ذاع النبأ ، علت فايمار ضجة كبرى ، اذ بدأ الناس يحسون بفداحة الخسارة التى أصابتهم اذ انتهت حياة جيته .

وتدفقت الجموع الى داره لترى جسمه المسجى الموضوع بصندوق الموت فى قاعة المدخل . وكان تدفق الجماهير شديدا واندفاعهم هائلا الى حد أن المسئولين اضطروا الى اقامة الحرس من حوله ليحولوا بين الناس وبينه .

وفى اليوم السادس والعشرين من شهر مارس ، احتفل بتشييع جنازة جيته الى مقبرة الامراء حيث رقد شيلر أيضا فى أمن وراحة أبدية منذ سنة ١٨٢٧ . وكان دفنه هناك بناء على رغبة كارل اوجوست .

وانتهت بذلك حياة غنية بالحركة ، حياة ملؤها العمل ، حياة تميزت بالنجاح الدائم الباهر الذى أحرزه مع مر الايام ، وراح يتضاعف كلما توغل فى الحياة والعمل .

ولقد استطاع الادب الالمانى – بفضل جيته وحده – أن يصبح ندا للاداب العالمية الكبرى . وكانت الاثار التى اسفر عنها نشاطه الروحى بعد مماته تزيد كثيرا عن النجاح الذى توصل اليه فى أيام حياته . ولن يتوقف هذا الاثر الروحى قط طالما وجد شعب المانى وطالما وجدت المعارف العامة !

●

ثبت لتواريخ صدور
أهم أعمال جيتــــه

١٧٧٣ من فن المعمار الالمانى Von deutscher Baukunst
جيتس برليتشينجن
١٧٧٤ كلافيجو
ڤيرتر
١٧٧٦ شتيلا
١٧٨٧ افيجينيى
١٧٨٨ اجمونت
١٧٩٠ تاسو
فاوست ـ قسم منها
محاولة لتوضيح التغيرات التى تطرأ على النباتات
Versuch, die Metamorphose der Pflanzen zu erklären
١٧٩٢ فى البصريات Beiträge zur Optik
١٧٩٤ الثعلب الطاهر
الخرافة
المراثى الرومانية (فى مجلة شيلر)
١٧٩٥ حكم البندقية
١٧٩٦/٩٥ سنى تعلم فيلهلم مايستر
١٧٩٨ هرمان ودوروتيه
١٨٠٥ ڤينكلمان
١٨٠٨ فاوست (الجزء الاول فى شكله الكامل)
١٨٠٩ الانساب المختارة

١٨١٠ عن نظرية الالوان (الجزء الاول والجزء الثانى) ، ثم نشر قسم آخر عن « تاريخ نظرية الالوان » ضمن مخلفاته .

١٨١١ من حياتى . الشعر والحقيقة (الجزء الاول) ، وصدر الجزء الثانى فيما بين سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٤ ، وصدر الباقى ضمن مخلفاته .

١٨١٧/١٦ الرحلة الايطالية

١٨١٧ — ١٨٢٤ « عن العلوم الطبيعية » عامة وتاريخ التكوين والتغيرات الطبيعية خاصة

Zur Naturwissenschaft überhaupt, besonders zur Morphologie

١٨١٩ الديوان الغربى الشرقى

١٨٢٢ الريف فى فرنسا

١٨٢٧ — ١٨٣١ الطبعة الاخيرة من مؤلفات جيته فى أربعين جزء

١٨٣١ أخيليس

١٨٣٣ فاوست (الجزء الثانى)

أضواء على جيته

صفحة



